



دور السياسة الدولية في إثارة النزعات الطائفية والوعي الإسلامي تجاهها (جمعية التمدن الإسلامي نموذجاً)

بحث مقدم لنيل درجة الدبلوم في الشؤون الدولية والدبلوماسية

إعداد الطالب

أحمد معاذ الخطيب الحسني

إشراف الدكتور

سامي مبيض

العام 2010

محتويات البحث

<u>الموضوع</u>	<u>الصفحة</u>
الإطار المنهجي للدراسة	٣
تعريف بجمعية التمدن الإسلامي	٦
المبحث الأول: السياسة الدولية تمتد أصابعها إلى كل مكان	٧
المبحث الثاني: الظلم الذي طحن الجميع	١٢
المبحث الثالث: التراحم الطائفي والريادة الإسلامية فيه	١٥
المبحث الرابع: فكر محلق فوق الطائفية	١٩
(العلاقة مع المسيحيين، الشيعة، العلويين، الإسماعيليين، الدروز، اليهود).	
خلاصة البحث	٣٠
المراجع	٣١
الملحق رقم (١) عن العلاقة مع الشيعة وملف إيران النووي	٣٣

دور السياسة الدولية في إثارة النعرات الطائفية

والوعي الإسلامي تجاهها (جمعية التمدن الإسلامي نموذجاً)

الإطار المنهجي للدراسة

في أكثر بقاع العالم يمكن أن يشاهد بوضوح أثر السياسة الدولية في تحريك النزعات الطائفية، ولعل آخرها تصريح الرئيس الأميركي السابق جيمي كارتر، قبل أيام، والذي حذر من "أنه في حال فشلت أو انهارت الانتخابات السودانية واتفق السلام، فمن شأن ذلك إشعال حرب أهلية وأخرى دينية إقليمية"^١. إنها رسالة واضحة لا لإطفاء الحريق الذي يأكل جنوب السودان وغربها في دارفور، بل تهيئة نفسية لإشعال النار، وتحقيق مخططات تمزيق السودان.

لقد دهش المجتمع الدولي حقيقة للبعد الطائفي الذي تحرك من خلاله الرئيس الأميركي السابق جورج بوش الابن، بكلامه عن حرب صليبية جديدة! ثم بتصريحه: "إن الولايات المتحدة مدعوة إلى إيصال هدية الحرية التي منحها الرب لكل إنسان على وجه المعمورة"^٢.

إن المتتبع لدور السياسة الدولية في السياسة في إثارة النعرات الطائفية، سيفهم جيداً لماذا كانت "باكورة أعمال الجنرال غورو إحداث دولة لبنان الكبير ثم تأسيس دولة العلويين، بموجب قرارين بتاريخ ٣١ آب ١٩٢٠، ثم تلا ذلك إقامة دولة دمشق فدولة حلب وتبعها إقامة دولة الدروز بتاريخ ٤ آذار ١٩٢١"^٣. بل إنه

^١ - انظر بتاريخ الاحد، 11 أبريل/ نيسان، 2010، GMT22:21 موقع:

http://www.bbc.co.uk/arabic/middleeast/2010/04/100411_sudan_elex_carter_tc2.shtml

^٢ - انظر مجلة نيوزويك الأمريكية (2003/3/11) عدد بعنوان "بوش والرب". وراجع للموضوع مقالة معتر الخطيب المنشورة في إسلام أون لاين:

http://www.islamonline.net/servlet/Satellite?c=ArticleA_C&cid=1173695208143&pagename=Zone-Arabic-Daawa%2FDWALayout

^٣ - نزار كيالي، دراسة في تاريخ سورية السياسي المعاصر (١٩٢٠-١٩٥٠)، دمشق، دار طلاس، ١٩٩٧. باختصار.

لن يدهش عندما يعلم أن السياسة الدولية للفرنسيين قد "طرحت فكرة اغتيال أحد عملاء الفرنسيين في سورية، لإجبار فرنسا على التدخل"¹.

هذا البحث الموجز، سيظهر دور السياسة الدولية في إثارة النزعات الطائفية، والوعي الإسلامي تجاهها، من خلال أداء جمعية التمدن الإسلامي، إحدى المنارات الإسلامية الرائدة في بلاد الشام.

مشكلة البحث: الطائفية هي إحدى العقد الحقيقية في مجتمعاتنا، ولا يعتقد الباحث أن بإمكان السياسيين وقادة الرأي وعلماء الدين والموجهين الروحيين، أن يغيروا شيئاً من أحوال مجتمعاتهم البائسة تغييراً حقيقياً، ما لم يكن هناك فكر قوي ينطلقون منه، فهل هناك محاولة ما، لم تتم الاستفادة منها؟ هذا ما سيحاول الباحث لفت الأنظار إليه، لا من خلال شيء يخترعه، بل من خلال تجربة إسلامية عريقة، استفاد منها، ويجاوب أن يتابع الطريق من خلالها.

أهمية البحث: لأن سورية هي سيفساء العالم وإحدى لوحاته الأجل، فإن المصالح تتصارع حولها، ومن أخطرها مصالح السياسة الدولية التي تجد في الغرائز الطائفية وأوقات الغفلات فرصة للاقتحام، لذا فإن أي مشروع يهدف إلى التوحيد، ويتجاوز إشكاليات التاريخ، هو مشروع ضروري، سيحاول البحث عرضه، من أجل وطن حر ومنيع.

أهداف البحث: يهدف البحث إلى توضيح التسامح، بل التراحم الطائفي الذي عاشته بلاد الشام، من خلال قلبها دمشق، وخلال عصور مديدة، والتركيز على نقاط التلاحم والتعامل الإنساني بين الطوائف المختلفة، والذي جنبها الصراع الطائفي، كما يهدف إلى بيان دور المصالح السياسية الدولية في استثمار الغرائز الطائفية، ودور الوعي الإسلامي في عدم السماح بذلك، من خلال فكر إسلامي نقي، خط درباً مميّزاً غير مسبوق، في لم شمل الأمة والسمو بها عن كيد السياسات العالمية، ونأى بها عن الضياع في متاهات التاريخ.

فروض البحث: خلال عشرات السنين تم استخدام أدوات مختلفة من كافة الأطراف، لتجاوز العوائق الطائفية، بعضها اعتمد على السلطة السياسية والقمع، والآخر على المواجهة المسلحة، وربما استخدم الجميع الحقن الطائفي، أو استدعوا التاريخ ودخلوا في سراديبه المظلمة! فهل كان حقاً ذلك هو الطريق؟ وإذا لم يكن

¹ - من تقرير وزير فرنسا في القاهرة بتاريخ ١٦ تشرين الثاني ١٩١٢. وانظر:

- وجيه الكوثاني، بلاد الشام في مطلع القرن العشرين (قراءة في الوثائق)، معهد الإنماء العربي، طرابلس الغرب، ١٩٨٠، ١٧٥.

فما هو الصواب؟ وهل هناك تجربة ما قدمت نموذجاً تمكن الاستفادة منه؟ هذا ما سيناقله هذا البحث المختصر.

منهج البحث: اعتمد الباحث بشكل رئيس على المنهج التاريخي، ثم الوصفي، ولكن ذلك كله محاط بالمنهج التجريبي الذي تم فيه وخلال أكثر من ربع قرن، مراقبة نضج الأفكار المطروحة وتوازنها واختبارها من خلال تجارب مختلفة شخصية أو جماعية، وقد حققت نتائج مميزة وفعالة.

أدوات البحث: لقد كانت المراجع الرئيسة المتوفرة بين يدي الباحث من مصادر تاريخية، ووثائق، ومجلات هي أدواته الأساسية، إضافة إلى محاضر جلسات ووقائع تمت الإشارة إليها، وساعد الباحث في الأمر أنه قضى قريباً من عشرين عاماً في مجلس إدارة جمعية التمدن الإسلامي، كانت تسع سنوات منها في رئاستها، ومعايشة أفكار رجالها الذين أشادوا فكرياً إسلامياً موضوعياً ومتوازناً يلهم الجميع.

الدراسات السابقة: ضمن حدود معرفة الباحث فإنه لم يتم تناول هذا الموضوع بوضوح من قبل، وبهذا فللبحث ريادة على مستويين: الصراحة في تناول بعض المواضيع الطائفية الحساسة من وجهة نظر إسلامية، وبما يتعلق بالحالة السورية، والمستوى الآخر هو إخراج تاريخ مدفون وعمل فكري متقدم قامت به جمعية التمدن الإسلامي ولا تزال، في إيجاد مظلة جامعة لكل طوائف الأمة.

يؤكد الباحث أنه لا يقدم فكراً من إبداعه، بمقدار ما يبرز مدرسة عريقة لم تأخذ حقها، وهو يقرر حقائق تاريخية، ولا يقوم باسترضاءات أو مواجهات سياسية مع أي طرف، ويحاول أن يلتزم بالعدل والموضوعية ما استطاع.

منهج البحث: يبدأ البحث بتمهيد ثم مقدمات البحث، فتعريف بجمعية التمدن الإسلامي، ثم المبحث الأول: السياسة الدولية تمد أصابعها في كل مكان، يتلوه المبحث الثاني: التراحم الطائفي والريادة الإسلامية فيه، فالمبحث الثالث: الظلم الذي طحن الجميع، أعقبه المبحث الرابع: فكر محلق فوق الطائفية، تلاه ملخص فجريدة المراجع فالوثائق ثم الملاحق.

الصعوبات التي صادفت البحث: لم يكن هناك سوى صعوبة واحدة، وهي اتساع الموضوع بشكل لم يخطر ببال الباحث من قبل، ووجود أفكار رائدة هائلة، وأنواع من السلوك الاجتماعي المميز، الذي يحتاج إلى مزيد من الجهد لإخراجه، وبالتأكيد فإن مكر السياسة الدولية هو بدوره أكبر من أن يحيط به بحث متواضع مثل هذا.

تعريف بجمعية التمدن الإسلامي:

جمعية التمدن الإسلامي، من أقدم الجمعيات الأهلية في سورية، وقد تأسست عام ١٩٣٢، على يد مجموعة من العلماء والقادة الإصلاحيين، وفكرتها الأساسية قامت على أن الاستعمار يأتي ومعه فكر وفن وثقافة ومدارس وتعليم، ومقاومته بالسلاح لا تكفي، فلا بد من مقابل لكل ما يطرحه، فكان هدف الجمعية الرئيس: تبيان الإسلام تبياناً صحيحاً شاملاً في كل مناحي دعوته وثقافته ومكارمه وعدالته وحضارته، والعمل على تحقيق ذلك، ويقول عبد الكريم اليافي: "لقد تبلور جزء من المشاعر الدينية في سورية أول الأمر في جمعية التمدن الإسلامي التي تأسست عام 1932 وعكفت على إصدار مجلتها الشهرية ومنشوراتها المتعددة والقيام ببعض المحاضرات العامة ولكنها كلها تدور حول الإسلام والحياة الاجتماعية"^١، وقد صدرت مجلة الجمعية لمدة تسعة وأربعين عاماً! قبل أن تجبر على التوقف، وقد ضمت الجمعية كبار رجال العلم والفكر^٢، وتميز بفكرها، بالعلنية، وابتعدت عن الصراع السياسي، كما رفضت العنف كمبدأ في العمل، وعملت بشكل مفتوح، فلم تقع في متاهة العمل السري، وما تزال حتى اليوم (رغم منعها من أي نشاط ثقافي)، تقوم بدور رائد في مساعدة الفقراء وعلاج آلاف المرضى كل عام^٣.

^١ - عبد الكريم اليافي، الدين والإحياء الروحي في الوطن العربي اليوم، دمشق، منشورات وزارة الثقافة، ٢٠٠٤، ١٦.

^٢ - منهم السادة: حسن الشطي، رشيد بقدونس، محمد جميل الخاني، سعيد الأفغاني، مصطفى الزرقا، محمد بهجة البيطار، أحمد مظهر العظمة، عبد الفتاح الإمام، محمد أحمد دهمان، عارف التوام، محمد سعيد الباني، عز الدين علم الدين التنوخي، أحمد حمدي الخياط، صلاح الدين المنجد، عزت الطرابلسي، محمد بن كمال الخطيب...

^٣ - انظر: أحمد معاذ الخطيب الحسني، رحلة التمدن الإسلامي، بمناسبة مرور خمسة وسبعين عاماً على تأسيس الجمعية، محاضرة بتاريخ دمشق 17 جمادى الأولى 1428 هـ الموافق 2 حزيران 2007م، وقد نشرت في موقع دربنا: www.darbuna.net كما نشرت بالفرنسية مجلة: ashreb-achrek, N 198-Hiver 2008-2009, Paris, 79-89.

المبحث الأول: السياسة الدولية تمد أصابعها في كل مكان

كثيرة هي الأمور التي لا يمكن فهمها دون الرجوع إلى جذورها العميقة، ولفهم إصرار بعض القوى السياسية الدولية على التدخل في شؤون بلادنا، وآليات تدخلها فلا بد من الغوص قليلاً في التاريخ، حيث يقول ساطع الحصري: "لقد تعود الفرنسيون أن ينظروا إلى الحروب [الصليبية] المذكورة كأثر من آثار أسلافهم العظام، وأن يعتبروا الإمارات اللاتينية التي قامت على بعض الأراضي السورية خلال تلك الحروب جزءاً من أجزاء تاريخهم المجيد، ولذلك كان من الطبيعي أن يتولد في نفوسهم نزوع إلى إتمام عمل تلك الحروب، وإعادة عهد تلك الإمارات.

إن هذا النزوع جعل الإفرنسيين ينصبون أنفسهم حماة للمسيحيين في الشرق، ليتخذوا من هذه الحماية وسيلة للاستيلاء على بلاد الشام في يوم من الأيام، وهذه السياسة حملت فرنسا على الإكثار من الإرساليات، لتأسيس المعاهد الدينية والتعليمية المتنوعة، في مختلف أنحاء الشرق الأدنى بوجه عام والشرق العربي بوجه خاص".^٢

حاول منشور الجنرال غورو الذي ألقته الطائرات الفرنسية في مختلف أنحاء سورية قبل يوم ميسلون اللعب على الوتر الطائفي بشكل مفرط، معلناً بأنه لن يستخدم الطائرات ضد الأهالي بشرط واحد: "أن لا يقتل أحد من الفرنسيين أو المسيحيين، وإلا فستقابل تلك الأعمال بمثلها وبمنتهى القسوة"^٣، أما في المذكرة المرسلة بتاريخ ١٤ تموز ١٩٢٠ (من الجنرال غورو إلى الأمير فيصل)؛ فقد تمت الدندنة على وجود مذابح للمسيحيين في مرجعيون، واعتداءات عليهم في القرعون، وهجوم في وادي القرن على دروز حوران واعتراض على إرجاع كامل بك الأسعد أحد المتسببين في فتن بلاد الشيعة! وضيق من الاحتفال الكبير

^١ - ساطع الحصري: مفكر قومي، حلبي الأصل، وقد ولد في اليمن عام ١٨٨٢ لأب أزهرى وقاض شرعي، وتلقى تعليمه في تركيا، وأسس وزارة المعارف في سورية زمن الملك فيصل الأول، ووضع مخططات تعليمية واسعة في سورية والعراق، وأسندت إليه مديرية الآثار ثم رئاسة كلية الحقوق في بغداد، وأنشأ أول معهد للدراسات العربية، وانصرف إلى التأليف، وله أكثر من خمسين مؤلفاً، وقد توفي في بغداد، وانظر لترجمته: عبد القادر عياش، معجم المؤلفين السوريين في القرن العشرين، دمشق، دار الفكر، ١٤٠٥هـ/١٢٩، ١٩٨٥-١٣١.

^٢ - ساطع الحصري (أبو خلدون)، يوم ميسلون (صفحة من تاريخ العرب الحديث)، بيروت، مكتبة الكشاف، ط ٢، ١٩٤٨، ٨.

^٣ - المرجع نفسه، ٣١٨، وقد ترجمه من النص الفرنسي المنشور في مجلة "آسية الفرنسية".

^٤ - المرجع نفسه، ٢٨٤-٢٩٢، وتاريخ المذكرة هو ١٤ تموز ١٩٢٠. ولاحظ الشفقة الفرنسية على الطوائف المختلفة، وفي الحقيقة فمن تعرضوا للاعتداءات والقتل كانوا ممن ظن الناس أن لهم صلة بفرنسة بغض النظر عن نواياهم، ويأتي في مقدمتهم علاء الدين الدروي رئيس الوزراء [السنّي] وعبد الرحمن اليوسف [السنّي] في حوران، فيما عرف بمحادثة خربة غزال.

بالدنادشة المعادين للفرنسيين، وانزعاج من مساعدة الشيخ صالح [العلي] بطل الفوضى والبغضاء للفرنسيين!، مساعدة فعلية ومستمرة في جبال النصيرية!

وليت الأمر وقف عند حماية الأقليات، بل إن إذكاء الروح الطائفية لم يخف على أحد، وقد حاولت فرنسا اللعب بالنار، وهي تدق إسفين التمييز والطائفية بين مكونات الشعب السوري، ويبين حسن الحكيم أنه قد "أصرت فرنسا على عهد الوزارة الأتاسية في سنة ١٩٢٠ على أن سورية [تضم] شعوباً! تتكلم العربية، ونحن أصررنا على أن سورية [تضم] سوريين فقط، وأتت المعاهدة في سنة ١٩٣٦ فأقرت بوجود لبنانيين وعلويين ودروز وسوريين، ناهيك بالاسكندرون، ويفصل بعض هؤلاء انفصلاً تاماً، وبعضهم الآخر تربطهم خيوط أوهى من خيوط العنكبوت!"^١.

إن المطامع الفرنسية في بلادنا وحتى اليوم، يجب النظر إليها بمنتهى الجدية والحذر، ويختصره ما عبر عنه أحد مهندسي سياستها بقوله: "إن فرنسا ليست في فرنسا وحدها، بل إن فرنسا في كل مكان امتدت إليه جذورها، في كل مكان قام فيه جيشها بأعمال مجيدة، ورفرف فيه علمها"^٢.

يلاحظ في السياسة الدولية سلوكية لا أخلاقية، تسخر أنبل المعاني في مصالحها، وكمثال على ذلك التضييق العلماني على الإكليروس داخل فرنسا ومصادرة أملاكهم إلا "إن عداوة الإكليروس ليست من المواد التي يسوغ تصديرها إلى خارج سورية"^٣، ولقد سخرت السياسة الدولية كل الوسائل لترسيخ وجودها، بما فيها الإرساليات الدينية، و"إن (دالادييه) وكان أبرز المعارضين في البرلمان الفرنسي لسياسة الحكومة إزاء

^١ - حسن الحكيم: من كبار الوطنيين، دمشقي ولد عام ١٨٨٦، تعلم في دمشق فاستنبول، وشغل منصب سكرتير حزب الشعب الذي كان يرأسه الدكتور عبد الرحمن الشهنندر، وقد اعتقل من قبل الفرنسيين وحكم بالإعدام، فلبأ إلى فلسطين، ثم عاد إلى سورية وشغل مناصب كثيرة، أهمها رئاسة الوزراء ١٩٤١-١٩٤٢ وخلالها أعلنت فرنسا بتاريخ ٢٧ أيلول ١٩٤١ استقلال سورية، وصار رئيساً للوزراء مرة ثانية أواخر عام ١٩٥١، وقد توفي في دمشق عام ١٩٧٤، وانظر للاستزادة: - محمد شريف الصواف، موسوعة الأسر الدمشقية، دمشق، بيت الحكمة، ط ٢، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م، ١، ٦٤٥.

^٢ - حسن الحكيم، صفحة من حياة الشهنندر، دم، مطابع الجمعية العلمية الملكية، ١٩٨٠، ١٤٥.

^٣ - ساطع الحصري، يوم ميسلون، مرجع سابق، ٣٣٨. والكلمة لأريستيد بريان، بتاريخ ٢٥ حزيران ١٩٢٠، وهو من مهندسي السياسة الفرنسية وقد ألقاها في البرلمان الفرنسي.

^٤ - المرجع نفسه، ٩.

القضية السورية، لم يسعه إلا الإشادة بأعمال هذه الإرساليات والمدارس، فقال: (إنني لا أنكر جلال العمل الذي تم في سورية، سواء على يد المبشرين المسيحيين أو على يد الرجال العلمانيين)^١.

لذا فإن "اللجوء إلى الماركسية أو القومية بالمفهوم الألماني أو الفرنسي، والعناية بآراء (نيتشه) على سبيل المثال .. لم يعد يستعصي على التفسير؛ لأن تفكيك البنى العقائدية والفكرية للأقليات المذهبية، وحتى الدينية أمر واقع لا محالة في ظل نظام التعليم المدني الفرنسي، وسياسة الابتعاث إلى الغرب"^٢.

لقد كان وعي السوريين بمختلف طوائفهم شديداً تجاه السياسات الاستعمارية وبواعثها الحقيقية، وتعليقاً على ما فعله الجنرال غورو عندما قصد قبر صلاح الدين الأيوبي قائلاً: هاقد عدنا يا صلاح الدين؛ قال فارس الخوري لطلابه: لقد أراد غورو "التستر باسم الدين كما فعل من قبله الصليبيون، بغية شق العرب بعضهم عن بعض، وقصد أن ينشر بين المسيحيين أن مجيء فرنسة إنما هو من أجلهم... وما قوّض غورو للعرب كيانهم في قوله ما قال، وإنما قوض الثقة بفرنسة لكونها تعمل للتفريق ولتفقد العروبة ذاتها... وليس من شك في أن دفع خطر الاستعمار يتوقف على وعينا لكل ما يُدس بيننا، ويعمل على تفرقتنا، قدر ما يتوقف على تجنب كل ما يثير خلافاً، وقدر ما يتوقف على تحسسنا بمشاعر بعضنا البعض، وبالمزيد من تفكيرنا بوطننا والعمل لسلامته وتحريره..."^٣.

لم تستطع السياسة الفرنسية إخفاء دندنتها على الطائفية، مما استنكره حسن الحكيم: "ولنتذكر أن فرنسا تحينت الفرصة من فتنة الأشوريين في العراق لتقول أن معاهدته ناقصة نقصاً معيماً من حيث حماية الأقليات، فلا بد لها من إدخال هذه الحماية بصورة مضمونة في المعاهدة السورية وذيولها"^٤، وقد تصدى عبد الرحمن الشهبندر لتلك الأصابع التي تريد تهيج الغرائز الطائفية، فكتب في مجلة الرابطة العربية، القاهرة، تعقيباً على

^١ - ساطع المصري، يوم ميسلون، مرجع سابق، ٣٤٥.

^٢ - عدنان محمد زرزور، مصطفى السباعي (الداعية المجاهد والفقير المجدد)، دمشق، دار القلم، ط2، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ٦٦.

^٣ - فارس الخوري، أوراق فارس الخوري، بعناية كولينت خوري، دمشق، دار طلاس، ط٢، ٢٠٠١، ٨٣، ٢.

^٤ - حسن الحكيم، صفحة من حياة الشهبندر، مرجع سابق، ١٥٣.

المعاهدة المعقودة سنة ١٩٣٦، مقالة عن حماية الأقليات في سورية، وندد فيها بموقف الصحف الفرنسية "فإن الوحي أتاها من المصادر الرسمية لتحريك النعرة الدينية والتهويل بشأن حقوق الأقليات"^١.
لم تكن المطامع الروسية أقل شراهة إذ "كانت السياسة الروسية ترمي إلى اكتساح البلاد العثمانية والوصول إلى القسطنطينية وسواحل البحر المتوسط حسب وصية الامبراطور بطرس الكبير أشهر قياصرتها وعميدهم بدعوى أن دين الروس جاء من القسطنطينية"^٢
وهكذا فلقد تقاسمت السياسة الدولية الأدوار في بلادنا منذ عدة قرون، حيث أعطت معاهدة: كوتشك كاينارجي عام ١٧٧٤م الروس حق حماية الروم الأرثوذكس، أما أطماع فرنسة فقد تذرعت بحماية الأقليات الكاثوليكية والمارونية، بينما حاولت بريطانية التغلغل في الوسط الدرزي^٣، ويبدو الدور الانكليزي شديد المكر إذ "دأبت إنكلترا على العمل بثتى الوسائل لتمزيق شمل الخلافة العثمانية بتفريق العرب عن الترك..."^٤.

تقاسم الحصص ذلك كانت له نتائج أعمق مما يتصور المرء بكثير، ويكفي العلم أن المذابح المريعة التي حصلت بين الدروز والمسيحيين، بما عرف بفتنة ١٨٦٠، كانت من ورائها فرنسة التي تظهر نفسها حامية المسيحية في الشرق^٥، حيث تتقاطع تقارير القنصل البريطاني في دمشق (ريتشاروود) مع تقرير (لانوس) مساعد القنصل الفرنسي في دمشق خلال آيار ١٨٦٠، إذ حاك الفرنسيون مؤامرة مع المصريين! "بهدف

^١ - المرجع نفسه، ١٥١. وجاء في نفس المقال فقد لما ذكره الكاتب الفرنسي جان بيرجيرار بتاريخ ٢١ تشرين الثاني ١٩٣٦، في جريدة الجمهورية الفرنسية: "إن لبنان المحكوم بيد رجال ثقة من ذوي المحبة التي لا يخامرها شك، هو بلاد نصرانية من بلدان البحر الأبيض المتوسط مرتبط منذ أحقاب مديدة بمصير بلادنا".

^٢ - عبد العزيز العظمة، مرآة الشام (تاريخ الشام وأهلها)، تحقيق: نجدة فتحي صفوة، دمشق، دار الفكر، ط ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م، ٢٩٤. والافتباس من كلام المحقق.

^٣ - ميخائيل بريك الدمشقي، تاريخ الشام (١٧٢٠-١٧٨٢)، تحقيق وتقديم أحمد غسان سبانو، سلسلة دراسات ووثائق تاريخ دمشق الشام (٣)، دمشق، دار قتيبة، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، والمؤلف هو مؤرخ وكاهن مسيحي دمشقي، وكان رئيساً لدير السيدة في صيدنايا عام ١٧٦٨م. والافتباس من مقدمة المحقق: أحمد غسان سبانو، ٧.

^٤ - عبد العزيز العظمة، مرآة الشام، مرجع سابق، ٣٨٢، ويمكن في الصفحات التالية الاطلاع على مكر الانكليز بالشريف حسين، ودقهم أخطر إسفين بين العرب والأترك. كما أن المؤلف يذكر من خبرته الشخصية كيف كانت إنكلترا تحرض القبائل العربية، وتدخل إليها السلاح، حتى إذا ما ألفوه راحوا يتسابقون لشرائه، وبنادق المارتيني التي أرسلها الحاكم الإنكليزي في الهند إلى قبيلة بني لام العراقية، كان محفوراً عليها: متى يهض العرب! وانظر الصفحات ٤٠٤-٤٠٥.

^٥ - من المراجع الشيقة لموضوع فتنة ١٨٦٠: المرجع السابق نفسه، ٣١٦-٣٢٦.

الوصول إلى تنازلات من السلطان العثماني تؤدي إلى إلحاق الشام بمصر، وترتكز المؤامرة إلى دفع الوالي العثماني في لبنان، وتحريض دروز جبل لبنان والحرمون وهوران ضد الموارنة والمسيحيين الآخرين"، وقد حاول فؤاد باشا (وزير الخارجية العثماني) الاقتصاص من الدروز "ولكن الرعاية الإنكليزية أدركتهم".^١

الولايات المتحدة لم تقصر أيضاً، رغم خبرتها المحدودة نسبياً، وبدأت تدخلها عبر البعثات البروتستانتية، حيث افتتح المعهد السوري البروتستنتي في بيروت عام ١٨٦٦، والذي أطلق عليه فيما بعد اسم: الجامعة الأميركية، وعندما عقد في شباط ١٩١٩ مؤتمر لمناقشة قضية الممتلكات العثمانية السابقة ومصيرها؛ أدى ذلك إلى خلاف شديد بين بريطانية وفرنسة حول السلطات التي ستولى إدارة الوضع الجديد، وقد وجد الرئيس الأميركي ويلسن الفرصة سانحة لإيفاد لجنة تحقيق دولية للتعرف على مطالب السوريين ورغباتهم في ممارسة حق تقرير المصير.^٢

في التاسع والعشرين من أيار ١٩٤٥ تسبب الفرنسيون بحمام من الدم في دمشق، عندما هاجموا مجلس النواب واحتلوه بعد قتل حماه من الشرطة والدرك في مجزرة جماعية؛ فأتت فرصة مناسبة لإبداء العواطف الأميركية إثر استدعاء وزير الخارجية السوري جميل مردم كلاً من الوزيرين المفوضين للولايات المتحدة وبريطانية، مقدماً إليهما مذكرتي احتجاج ضد الاعتداء الفرنسي، طالباً رفعها إلى الحكومتين، وبناء عليه قام

^١ محمد سعيد الأسطواني، مشاهد وأحداث دمشقية في منتصف القرن التاسع عشر، تحقيق: أسعد الأسطواني، دمشق، دار الجمهورية، ١٩٩٤، ١٠٧. والسياق من كلام المحقق.

^٢ عبد العزيز العظمة، مرآة الشام، مرجع سابق، ٣٢٥.

^٣ أول الإنجليبين في بلاد الشام كانا: جونز كنج، وإيلي سميث والذي قدم إلى بيروت عام ١٨٢٧ م وتوفي فيها عام ١٨٥٧، وكان يتكلم العربية بطلاقة، ويلم باللغات القديمة وبعض اللغات الحديثة، وأسس مع زوجته أول مدرسة للبنات في بيروت عام ١٨٣٤، وهي السنة التي نقل فيها البروتستانت مطبعتهم من ماطلة إلى بيروت، كما باشر سميث ترجمة التوراة والإنجيل من العبرية واليونانية سنة ١٨٤٩ بمساعدة المعلم بطرس البستاني، وبعد وفاته أتم زميله كورونيلوس فان ديك العمل بمساعدة البستاني لينجز العمل عام ١٨٦٠؛ وانظر: أوراق فارس الخوري، مرجع سابق، ٢٩، ١.

^٤ نزار كيالي، دراسة في تاريخ سورية السياسي المعاصر، مرجع سابق، ٢٧٤.

^٥ المرجع نفسه، ٣٥. وفيه أنه قدمت لجنة الاستفتاء الأميركية كينغ - كرين عام ١٩١٩، وجاء في تقريرها المفصل "أن الشعب السوري يطالب بالاستقلال الناجز ويرفض أي انتداب، كما أنه يعارض المشروع الصهيوني معارضة شديدة، أما إذا لم يكن بد من فرض انتداب محدد الأجل لإرضاء الدول الكبرى، فإن الشعب السوري يفضل الولايات المتحدة الأميركية كدولة منتدبة بالدرجة الأولى! وبريطانية العظمى بالدرجة الثانية! ولكنه يرفض قبول فرنسة كدولة منتدبة على سورية".

^٦ المرجع نفسه، ٣٤.

^٧ المرجع نفسه، ١٧٥-١٩٥.

معاون وزير الخارجية الأمريكية غرو Grew بالإعلان "في مؤتمر صحفي عقده في ٣١ أيار ١٩٤٥ بأن الحوادث التي وقعت في الشرق الأوسط قد أحدثت قلقاً كبيراً لدى حكومة الولايات المتحدة التي أخطرت بتدخل القوات البريطانية، ووافقت عليه! منعاً لسفك مزيد من الدماء في المشرق"^١

ربما تتغير أيدي اللاعبين، ولكن الروح هي نفسها، سواء أكانت فرنسية أم إنكليزية، روسية أم أمريكية؛ روح التدخل والوصاية والهيمنة، ولقد أثبت الواقع بما لا يدع مجالاً للشك، أن أصابع السياسة الدولية اللامحايذة وغير النظيفة هي التي تعمل في السر والعلن من خلال تبادل الأدوار على تقويض مصالح الشعوب والاتجار بها، وإيقاظ الغرائز الطائفية الكامنة فيها، بدءاً من سورية والشرق الأوسط ومروراً بالسودان ورواندا ونهاية ببايران والعراق وأفغانستان.

^١ - نزار كيالي ، دراسة في تاريخ سورية السياسي المعاصر، مرجع سابق، ١٧٨، نقلاً عن نشرة وزارة الخارجية الأميركية، المجلد ١٢، رقم ٣١٠ تاريخ ١٩٤٥/٦/٣، ص ١٠١٣-١٠١٤. (the U.S. Department of state Bulletin) أنه قد قدمت حكومة الولايات المتحدة الأميركية إلى الحكومة الفرنسية مذكرة مؤرخة في ٢٨ أيار ١٩٤٥ تتضمن مايلي: "إن ثمة شعوراً لدى الولايات المتحدة وغيرها من الدول بأن ممثلي فرنسا يقومون بالتهديد باستعمال القوة لحمل حكومتنا سورية ولبنان على منحها امتيازات ذات طابع سياسي وثقافي وعسكري. إن سورية ولبنان هما باعتراف كل من فرنسا والولايات المتحدة دولتان مستقلتان، كما أنها أيضاً عضوان في منظمة الأمم المتحدة، حيث يقوم ممثلوها بالاشتراك حالياً في سان فرانسيسكو مع ممثلي فرنسا والولايات المتحدة بمناقشة وسائل ضمان الأمن العالمي ومقاومة العدوان لذلك فإن حكومة الولايات المتحدة، بكل شعور أخوي، تهيب بحكومة فرنسا أن تعيد النظر بدقة في سياستها تجاه سورية ولبنان، بغية العثور على طريقة تبين للبلدين المذكورين وللعالَم أجمع أن فرنسا، في تعاملها مع دول المشرق، ترغب في معاملة سورية ولبنان كدولتين مستقلتين تتمتعان بسيادة تامة كعضوين في الأسرة الدولية".

المبحث الثاني: الظلم الذي طحن الجميع

تظن بعض الطوائف أنها قد خصت بالظلم، وعانت من الاضطهاد أكثر من غيرها، وهذا ناجم عن قلة الإحاطة بالظروف التاريخية التي مرت بها سورية خلال القرون الأخيرة، إذ إن الظلم قد طحن أهلها طحناً بمختلف طوائفهم، والظلم والاستبداد السياسي لم يبق فيها استقراراً ولا أمناً لأحد.

وكمثل كل المجتمعات كانت هناك بعض التوترات الاجتماعية حتى داخل كل طائفة، مما لا يتسع مجال البحث للخوض فيه، ولكن الظلم أو التضييق كان يشمل الجميع، ويوضح هذا النص الطريف الذي يسوقه مؤرخ مسيحي، بعض ما كان يقوم به التفكجية: "وكل من طلع صوتاً من داره (يدخلوا يمسكوه) ويبلصوه^١، لأنهم كانوا يتنصتوا على الأبواب، إلى ما عاد أحد قدر يتكلم في بيته إلا بالدس والهمس، نهراً وليلاً، وليس النصرى فقط بل المسلمين أيضاً"^٢.

إن الظلم قبيح من أي جهة أتى، وفي حوادث سنة ١٧٧٦ أنها كانت "قليلة الأمطار، كثيرة المظالم من كل جانب، حتى من البطريك"^٣، وحينما تكون السلطة السياسية فاسدة، فلا بد أن المحسوبين عليها هم مفاتيح الفساد، حتى أن المناصب العليا "كالولاية، والدفتردارية، والقضاء، والإفتاء، ونقابة الأشراف وغيرها، لا تمنح بحسب الكفاءة، بل مقابل مبلغ من المال، وأقيمت أسواق المزايدات عليها بين الطامحين"^٤ في أحداث عام ١١٦٦هـ/ ١٧٥٢-١٧٥٣م يذكر البديري الحلاق أن لصوصاً "قاموا بنهب ضرائح الصحابة والأولياء... فخلعوا شباك سيدي بلال الحبشي، وأخذوا شباك مزار الشيخ عبد الجبار بن سيدي عبد القادر كيلاني... وأخذوا ثوب تابوت سيدي أبي الذي يقع قبلي جامع الشيخ رسلان"^٥.

^١ - تفكجي تعني الجندي حامل البندقية، والأصح: تفكجي. وانظر: تاريخ الشام، مرجع سابق، ٣١.

^٢ - البلص عند العوام هي الاحتيال في السرقة، والمعنى: يفرضون عليه غرامة.

^٣ - ميخائيل بريك الدمشقي، تاريخ الشام، مرجع سابق، ٧٦.

^٤ - ميخائيل الدمشقي، تاريخ الشام، مرجع سابق، ١١٦. والمقصود هو البطريك دانيال الذي كان يتحكم في نصارى دمشق، وكان ظالماً وبخيلاً ومرايياً، حتى ضج منه أهل ملته فاشتكوا إلى البطريك صفرونيوس البطريك القسطنطيني العربي الأصل، فأصلح بينهم، بعد قلاقل ومنازعات ومشارطات.

^٥ - الدفتردار: كلمة تركية فارسية، وتعني: حافظ السجلات، وهو مسئول الخزينة والمشرف على المالية، وعادة يكون هو الشخصية الثانية بعد الوالي، وانظر لذلك: - يوسف جميل نعيسة، مجتمع مدينة دمشق، (١١٨٦-١٢٥٦هـ/١١٧٢-١٨٤٠م)، دمشق، دار طلاس، ط٢، ١٩٩٤، ١، ٢١٢.

^٦ - المرجع نفسه، ٢، ٥٤٥.

^٧ - المرجع نفسه، ٢، ٥٥٢.

لقد كان الفساد السياسي والإداري أحد أهم عوامل الاضطرابات، "فاشتد الصراع ما بين الأمراء المحليين والحكام الإقطاعيين من جهة، وما بين هؤلاء وولاتها من جهة أخرى، بالإضافة إلى الصراعات بين الولاية المعزولين والولاية المعينين مكانهم! ودفعت دمشق ضريبة هذه الصدمات"، كما كانت كثرة الجنود والأغراب مدعاة مفاسد هائلة، "ولقد نفذ الجنود والبدو أخطر عمليات السطو والنهب ضد الفلاحين والحواضر، وخاصة الجنود المرتزقة (الدالاتية واللاوند والسكبان والمغاربة)^١ والمواصلة والتكرارة والبغادة وغيرهم"^٢.

أما عندما أجبرت دمشق جنود أحمد باشا الجزائر على مغادرتها بعد وفاته، قام الجنود "بنهب المزة والمعضمية والجديدة وعرطوز، وهكذا جميع البلاد هلي [التي] في طريقهم من حمير ومغل وأواعي [ثياب] وغير ذلك، وفي عهد خلفه إبراهيم باشا الدالاتي، قام الجنود بنهب البلاد! وبعد عودته من الحج!! قام جنوده بنهب قرى الغوطة!"^٣.

^١ - يوسف نعيسة، مجتمع مدينة دمشق، مرجع سابق، ٢، ٥٣٧.

^٢ - الدالاتية: مشتقة من أصل تركي يعني الأهوج أو المجنون، أو الطائش، وأصولهم أناضولية وكرواتية وصرية وبوسنية، وكانوا يعيشون على الغزو والنهب، لعدم وجود رواتب رسمية لهم، وكانوا يرتدون جلود الثور والأسود والديبة لإرغاب خصومهم، ومعظمهم كانوا لصوصاً أو قطاع طريق، وكانوا في صراع لا يتوقف مع باقي قوات المرتزقة.

اللاوند: اسم أطلقه العثمانيون على بحارتهم الأوائل، وهو مستعار من كلام أهل البندقية، ثم أطلقت الكلمة على المتمردين ثم الفرسان المرتزقة، واقترب اسمهم في دمشق بالأكراد، وكانوا أشداء في القتال ولا يهابون الموت، وقد عرفوا بالفساد، وقد نفت الدولة العثمانية عام ١٨٠٤ ستة عشر ألفاً منهم، فما سلم منهم إلا ستائة خيال لجئوا إلى أحمد باشا الجزائر.

السكبان: من أقدم أصناف الجند المرتزقة، وتعني: حارس أو حامي الكلاب، وهي تعني الجندي الذي يحمل البندقية، ويقود الكلب أمام الأمير، ثم أطلقت على المقاتلين مقابل المال، وقد حرفها العوام إلى السكبان، وأصلها فارسي. وكانت فرقة مستقلة ثم دججت بالفرق الانكشارية. وانظر لماسبق:- نعيسة، مجتمع مدينة دمشق، مرجع سابق، ١، ٢٤٤-٢٤٩.

^٣ - المرجع نفسه، ٢، ٥٥٤.

^٤ - المرجع نفسه، نقلاً عن تاريخ حسن آغا العبد، ١١٦-١٢٠.

المبحث الثالث: التراحم الطائفي والريادة الإسلامية فيه

جرت العادة على استخدام كلمة التسامح الطائفي لوصف الاستقرار الطائفي الذي تعيشه المجتمعات، وقد وجد الباحث أن ما كان يعيشه الناس وخصوصاً في دمشق، هو أمر أعمق بكثير من مفهوم التسامح، لذا فإنه يقترح كلمة: التراحم الطائفي، والتي بنيت على لحمة إنسانية حقيقة، من النادر أن توجد في أي مكان.

من مواقف التراحم الطائفي ما حصل عام ١٧٧٧ عندما قام حاكم صيدا: أحمد باشا الجزائر، بنهب قرى الدروز، وأديرة النصارى "وجابوا [أحضرُوا] نساھم [نساھم] وباعوھم في دمشق مثل الأسرى، وكان شيء يحزن القلب ويعكر الخاطر، وبعد أيام قلائل، جميع الذين انتھبوا من القرایا [القرى] انحدروا إلى دمشق، وكانوا كل عيلة بعيلتها، طائفين الأزقة والشوارع ليشحدوا ويأكلوا، وكم مات منهم من الجوع والبرد، وكم اشتري أهل دمشق من العسكر بنات وصبيان ونسوان، وأطلقوھم لوجه الله تعالى".^١

ذلك الفعل الإنساني له جذوره العميقة في تاريخ أهل دمشق، حتى أصبح عادة لأهلها، ومما لاحظته ابن بطوطة في رحلته حيث أن: "الأوقاف بدمشق لا تحصر أنواعها ومصارفها لكثرتها ؛ فمنها أوقاف على العاجزين عن الحج، يعطى لمن يحج عن الرجل منهم كفايته، ومنها أوقاف على تجهيز البنات إلى أزواجهن، وهي [للواتي]^٢ لاقدرة لأهلهن على تجهيزهن، ومنها أوقاف لفكك الأسرى، ومنها أوقاف لأبناء السبيل يعطون منها ما يأكلون ويلبسون ويتزودون لبلادهم، ومنها أوقاف على تعديل الطريق ورفضها ... ومنها أوقاف لسوى ذلك من أفعال الخير"^٣.

إن الظلم والاستبداد والظروف القاسية تضع الناس دائماً وبمكر شديد في مواجهات قد تصل إلى حد التوحش، ووحده الفعل الإنساني، والوجدان الديني بمعناه العميق، يُبطل تلك المواجهات ويعيد وشائج التراحم والمعاني الإنسانية النبيلة بين البشر.

^١ - ميخائيل بريك الدمشقي، تاريخ الشام، مرجع سابق، ١١٧-١١٨.

^٢ - في الأصل: وهي اللواتي.

^٣ - محمد بن عبد الله الطنجي، ابن بطوطة (٧٧٩هـ/١٣٧٧م)، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، القاهرة، المطبعة الأزهرية،

١٣٤٦هـ/١٩٢٨)، ١، ٦٣.

أما في فتنة ١٨٦٠ بين الدروز والنصارى "فهاجت الفتنة واشتد القتل وكثر، حتى صاروا [أي القتلة] يتعرضوا للذين في بيوت المسلمين [من المسيحيين]! وقوي الأمر وصعب، وكثر الواردون إلى القلعة [من المسيحيين] منهوبين جائعين، امتلأت دور المسلمين منهم ومن أولادهم ونسائهم"^١.

وخلال تلك المذابح الرهيبة "كان للكثير من مسلمي الشام أباد بيضاء بفتح دورهم للاجئين المسيحيين، وإنقاذهم من الغارات والتعديات كالعلامة محمد أفندي الحمزاوي [مفتي الشام]، وأخيه أسعد أفندي، والشيخ سليم أفندي العطار، وسعيد آغا الوزي، وعمر آغا العابد وصالح آغا المهاني في الميدان"، كما أن "نحو خمسمائة من النصارى، رجال ونساء وأولاد، غالبهم خرجوا من دار السيد عبد القادر [الجزائري]"^٢.

خلال الحرب العالمية الأولى كان هناك خشية من تعرض المسيحيين في دمشق إلى أوضاع جائرة، ولكن التراحم الطائفي قام بدور مؤثر، مما دعا المونسنيور إبراهيم مسابكي، مندوباً من حبر الفاتيكان أن يقوم بزيارة الشيخ بدر الدين [الحسني] وشكره حيال محافظته على المسيحيين، حيث أجابه الشيخ "أنه قام بواجبه ولا شكر على الواجب، وإن المسيحيين إخواننا وشركاؤنا في هذا الوطن فما ينالهم ينالنا من خير أو شر"^٣.

تلك الروح المحلقة جعلت بطريك الروم الكاثوليك يقول في كلمة مؤثرة وذات دلالة عميقة: "كانت بلادنا العزيزة قد بقيت زمناً طويلاً مرتعاً للأحزاب، وميداناً للتباغض والتنافر، فعمل [أي الشيخ بدر الدين] حتى آخر دقيقة من سني شيخوخته الكريمة على لم شملها، وتقارب أبنائها... فانقادت له الجماعة وخيمت على رأس كبيرهم وصغيرهم، وعالمهم وجاهلهم، وأميرهم وسوقتهم، أعلام المحبة والثقة المتبادلة مع احترام الأديان، واعتبار الإنسان لأخيه الإنسان، فكم مرت على البلاد محن وبلايا، وكم ساقط لها الأقدار من الرزايا، وكم مهدت ظروف الحال، وأطاع بعض الرجال للجموع المتحمسة، من صنوف الإيقاع... فكان يقف دائماً حصناً منيعاً في وجه النافخ في النار، ويصرف الجماعة عن المطامع والانتقام، إلى الوفاق والتسامح والسلام، وإن ما نراه اليوم بيننا من التآلف والتحالف... رغم تباين العقائد وتنازع المشارب لهو ببعضه، بل

^١ - محمد سعيد الأسطواني، مشاهد وأحداث دمشقية، مرجع سابق، ١٧٥.

^٢ - عبد العزيز العظمة، مرآة الشام، مرجع سابق، ٣٢٥.

^٣ - محمد سعيد الأسطواني، مشاهد وأحداث دمشقية، مرجع سابق، ١٧٦.

^٤ - المحدث الأكبر الشيخ بدر الدين الحسني (١٨٥١هـ/١٩٣٥م) كان المرجع الأعلى للمسلمين في بلاد الشام وكبير علمائهم، وانظر لذلك: محمد رياض المالح، عالم الأمة وزاهد العصر: العلامة المحدث الأكبر بدر الدين الحسني، دمشق، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.

^٥ - جريدة فتى العرب، العدد ١٥٤٣، الخميس ١٥ شعبان ١٣٣٥هـ/١٧ شباط ١٩١٧م، وانظر المرجع نفسه، ٢٣٠.

بأكثره ثمرة جهود هذا الشيخ الإمام، ونتيجة ما زرعه من المحبة والسلام... وهذا الحفلة التأبينية التي جمعت جنباً إلى جنب المسلم والمسيحي... ليست إلا تحقيقاً لتعاليمه وأثراً لسحر سلطانه على الجموع، وإذا كانت الأوطان لاتقوم إلا على عُمْد الاتحاد والتضحية والمحبة والسلام بين الأفراد، فإنه يرجع الكثير الكثير من الفضل في تكوين هذا الوطن السوري العربي المفدى [وبعد أن يثني غبطة البطريك على أهل دمشق يقول:] لكن بعض أيام العواصف لابد خلقت أحياناً جواً مكهرباً، فكان الفقيد العظيم يعمل بحكمته ودرايته ونفوذه ورجاله، على تبديد السحب وصيانة الأعراض والأرواح والأموال^١.

تلك الروح المحلقة التي تحدث عنها البطريك كانت هي الإطار الجامع لكل الطوائف، وبينما قام المفوض الفرنسي عقب استشهاد حسن الخراط "باعتقال زعماء الأحياء بدمشق، وهدد بتسليط الجند السنغالي على أعراض النساء!"^٢؛ أنشأ المجاهدون محكمة للثورة، وكانت لها أحكام قطعية، والغاية من تشكيلها هو "فرض هيبة الثورة، وتفادي وقوع أي اعتداء من الثوار على النساء والأعراض، وحفظ حقوق العباد..."^٣، وقد أعيدت التشكيلات وعين الشيخ محمد حجازي كيلاني مفتياً للثورة، والشيخ توفيق سوقية رئيساً لمحكمتها^٤.

لقد كان الوعي السائد عند الجميع شيئاً أخذاً حقيقة، وبينما أعلن غورو نفسه حامياً للمسيحية (في الأرض التي يعتقد جميع سكانها أنها شُرُفت بالمسيح عليه أسمى الصلاة والسلام)، ومتناسياً بشكل فح أنه غريب ومحتل كرهه، قام المسلمون والمسيحيون معاً بتواصل مدهش، من خلال تلك العريضة القيمة التي جلت موقف المسيحيين، بل اليهود، وبينت إدراكهم العميق للدور الفعال الذي قام به المسلمون مجاهدين، والتراحم العميق الموجود بين كل الطوائف، ورفع الرؤساء الروحيون وزعماء الطائفتين، عريضة إلى رئيس الوزراء، علاء الدين الدروبي توثق التضامن الموجود وتقطع الطريق على اليد التي تحرك الطائفية: "إعلاناً للحقيقة واعترافاً بالفضل لذويه نرفع نحن المسيحيين والموسويين المستقرين في دمشق وضواحيها على تعدد

^١ - خلال حفل تأبيني أقيم بعد ظهر الثلاثاء ١٤ جادى الأولى ١٣٥٤هـ/ ١٣ آب ١٩٣٥م، على مدرج الجامعة بمناسبة مرور أربعين يوماً على وفاة الشيخ بدر الدين، ونقلت بعض كلماتها جريدة الجزيرة، العدد ٣٢٦، الجمعة ١٧ جادى الأولى ١٣٥٤هـ/ ١٦ آب ١٩٣٥م. وانظر: المرجع نفسه، ١٢٠-١٢٥.

^٢ - أدهم آل جندي، تاريخ الثورات السورية في عهد الانتداب الفرنسي، دمشق، مطبعة الاتحاد، ١٩٦٠، ٣٥٨.

^٣ - المرجع نفسه، ٣٥٨.

^٤ - المرجع نفسه، ٣٦٨.

مللنا وطبقاتنا القومية، تشكراتنا القلبية، موجهة إلى العلماء والأعيان والوجهاء والعامّة من إخواننا المسلمين في دمشق وضواحيها، لما صدر منهم في الأيام الأخيرة المخوفة من السهر على الراحة العامة وإقامة جنود وطنية للمحافظة على الأمن والسكينة ومنع الاضطرابات المقلقة، مما يسطر لهم الذكر الجميل في صحف التاريخ، ويوجب لهم لدى معاليكم يادولة الوزير أن يفوزوا بتكرمة وتقدير...^١.

لقد حاول الجنرال غورو أول قدومه، تقطيع أوصال سورية، وتفارقة أبنائها على محاور الطائفية، "فأقدم على إحداث دولة لبنان الكبير ثم تأسيس دولة العلويين، بموجب قرارين بتاريخ ٣١ آب ١٩٢٠، ثم تلا ذلك إقامة دولة دمشق فدولة حلب وتبعها إقامة دولة الدروز بتاريخ ٤ آذار ١٩٢١"^٢. ولكن أبناء سورية من كافة الطوائف وقفوا في وجه مخططاته الماكرة، ويذكر رئيس الوزراء السوري الأسبق معروف الدواليبي، أن سبب إخفاق فرنسا لتقسيم سورية عام ١٩٢٥ إلى دويلات متعددة، يرجع إلى "الانتفاضات الشعبية التي قامت في سورية، وبخاصة في حلب التي فصلت عن دمشق تحت اسم حكومة حلب، فقد انطلقت فيها مظاهرة من أكبر المظاهرات التي شهدتها سورية ومن أشدها، فكانت القاضية على مشروع الدويلات من أساسه... وقد اشترك في المظاهرة الكبيرة كبار العلماء والطلاب. وكان كثير من المتظاهرين يحملون السلاح، وقد قوبلت المظاهرة بالمدفعية والرصاص.... وبدأت الصحف تعلن عن تجمعات الثوّار وأخبارهم كل يوم، فأسقط في يد الفرنسيين وأخذوا يتراجعون عن مخططاتهم ومشروعهم بتقسيم سورية إلى دويلات"^٣.

^١ - ساطع الحصري، يوم ميسلون، مرجع سابق، ٣٠٥، وقد وقع العريضة كل من: بطريك الروم الكاثوليك: تقلاوس، متروبوليت بصرى وهوران: ميخائيل نجاش، مطران السريان بدمشق: أستودس كيبسهان، النائب الأسقفي الماروني بدمشق: الخوري إبراهيم مسكي، فارس الخوري، ناصيف أبو زيد، أسعد أبو شعر، قسطنطين الحمصي، إبراهيم طويل، ميخائيل وإلياس صخناوي، ميشيل أوديس، شفيق قدسي، أنطوان أبو حمد، خليل عنجوري، اسبر الخوري، موسى سعد شامية. وقد نشرت العريضة في جريدة العاصمة بتاريخ ٢ آب ١٩٢٠.

^٢ - نزار كيالي، دراسة في تاريخ سورية السياسي المعاصر (١٩٢٠-١٩٥٠)، دمشق، دار طلاس، ١٩٩٧. بتصرف.

^٣ - نقلاً عن: <http://www.aawsat.com/details.asp?issueno=9706&article=307826>

وفي لفتة رائعة ذكر سلطان باشا الأطرش^١ في كلمته لتأبين الشهيد ما كان قد صرح به الأخير في خطاب له: "اجمعوا قلوبكم إلى قلوبنا، وضموا قلوبنا إلى قلوبكم، لا توصلوا أبواب الوطن في وجه من كان عاملاً صادقاً، لأن جنة هذا الوطن تتسع للجميع من غير تفریق في الملة".^٢

المبحث الرابع: فكر محلق فوق الطائفية

يقول أحد مؤسسي جمعية التمدن الإسلامي وعلمائها، عبد الفتاح الإمام: "يجب الانتباه إلى أننا أمة واحدة، إلهنا واحد... وأعمالنا للدين والدنيا ترجع إلى أصل واحد... فمن أين جاء التفرق والخصام؟ لاشك أن للسياسة الغاشمة يداً في هذا التفریق...".^٣

إن من لم يكن مسلماً بالدين فهو مسلم بالثقافة، وبالتالي فإن مكونات الأمة كلها بمسليها ومسيحيها ينبغي أن تكون يداً واحدة لبناء وطن آمن ومستقر [يرجى الاطلاع على الملحق رقم ١، وهو مقال كتبه الباحث عن نظرة الدين إلى الوطن، وما اعترها من إشكاليات]، وفيما يلي بعض اللفتات التي وجدها الباحث عن علاقة جمعية التمدن الإسلامي بكافة الأطياف في سورية، مع الاعتذار عن عدم استيفاء الأمر حقه، بسبب اتساعه.

^١ - سلطان باشا الأطرش (١٨٨٦-١٩٨٢): القائد العام للثورة السورية، وبقية الأبطال من بني معروف، ولد في قرية القريا، ونشأ على تقاليد العرب الأصيلة من الشهامة والمروءة والشجاعة، وغر ثورة جبل العرب ضد الاحتلال الفرنسي عام ١٩٢٥، وقد أبلى في الفرنسيين أعظم النكيات، وهزمهم في عشرات المعارك، وبعد إخماد الثورة عام ١٩٢٧ هاجر بأسرته وأتباعه ليعيش عشر سنوات في المنافي بين الأردن والحجاز، وعند صدور عفو عنه رفض مصالحة الجنرال الفرنسي كاترو وقبول هديته (ألف ليرة ذهبية) كما لم تخرج منه كلمة شكر، وانظر للاستزادة: جميل شاكرا الخانجي (١٨٩٨-١٩٧٦)، ثوار صنعوا الاستقلال (صفحات مضيئة من تاريخ الثورة السورية)، إعداد وتحرير: نشأت جميل الخانجي، دمشق، دار الشرق، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م، ٢٥٩-٢٧٤. والمؤلف كان أمين سر الثورة السورية، وعضو اللجنة العليا للدعاية والاستخبارات.

- أدهم آل جندي، تاريخ الثورات السورية، مرجع سابق، ١٨٩-٢١٣.

^٢ - حسن الحكيم، صفحة من حياة الشهيد، مرجع سابق، ١٩٥. وقد أقيم التأبين بتاريخ ٢ أيلول ١٩٤٠، وألقى كلمات الأمير عبد الله، وهاشم الأتاسي، وسلطان باشا الأطرش، صديق الشهيد وتلميذه زكي الخطيب، وقد نشرت الكلمات في جريدة الأيام، العدد ٢٢٣٤، ٤ أيلول ١٩٤٠.

^٣ - عبد الفتاح الإمام، خلاصة الدواء، مجلة التمدن الإسلامي، مرجع سابق، السنة ١٣٦٦، ١٢هـ، ٣٩٩.

أولاً: العلاقة مع المسيحيين:

تحظى المسيحية في الوجدان الإسلامي باحترام مميز، ويكفي مذكرته سورتا الروم ومريم عليها السلام لبيان ذلك، ولكن هناك فتوراً ملاحظاً في العلاقات بين المسلمين والمسيحيين^١، وقد حاول رجال التمدن ردم الهوة بين الطرفين، فكتب الأستاذ أبو عصام^٢ مقالاً بعنوان: نشاط الإسلام عند نصارى العرب، وحاول النفاذ فيه إلى الحقائق المجردة فقال: "إذا حصل ما يعكس الصفاء بين المسلمين ونصارى هذه البلاد في بعض الظروف فهذا ناجم: عن دسائس الدول الاستعمارية التي تعمل دوماً، بالخفاء على تفريق أبناء الوطن، وتعصب بعض رجال الدين الذين يسعون (جهلاً وحمقاً) لإلقاء العداوة والبغضاء بين البسطاء باسم الدين ... والدين الإسلامي والمسيحي بريثان من جرائمهم... وتعصب بعض الولاة من المسلمين الذين كانوا يجهلون أبسط مبادئ دينهم"^٣.

^١ - أطلق الإسلام كلمة أهل الذمة على من يعيشون في رحاب مجتمع المسلمين من غير المسلمين، والذمة في اللغة تعني: العهد والضمان والأمان، ولا يحمل الأمر أي معنى سلبي، ولكن صار هناك نفور منه عند بعض غير المسلمين معتبرين أنه يتضمن نوعاً من الوصاية غير المقبولة! في هذا الزمان، والشريعة تبحث أولاً عن المعاني ثم المباني، ولا مُشاحّة في الاصطلاح، لذا كتب المفكر الإسلامي: فهمي هويدي كتاباً مميزاً ساهم: مواطنون لا ذميون (موقع غير المسلمين في مجتمع المسلمين)، وقد نشرته دار الشروق، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، ط٣، وينصح الباحث بقراءته لمن تهتمهم هذه المواضيع. كما ينصح بقراءة فصل مهم حول الموضوع في كتاب الجهاد للعلامة الدكتور يوسف القرضاوي، القاهرة، مكتبة وهبة، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.

^٢ - يشعر كثير أو قليل من المسيحيين بنوع من القلق بسبب زيادة الفرق في المحيط الإسلامي، وقد هاجر العديدون منهم بسبب ذلك، وهناك واجب أخلاقي على الجميع القيام به، وهو زيادة التراحم والتواصل بينهم، والقفز فوق الظروف القاهرة والتعكيرات الطائفية والتي تضع تسوق الجميع إلى الهاوية.

^٣ - نشر المقال باسم أبي عصام دون تفصيل، ويغلب على ظن الباحث أنه خير الله صبحي الجعفري.

^٤ - استخدمت كلمة النصارى في القرآن الكريم لوصف أتباع روح الله وكلمته عيسى عليه السلام، فقال تعالى: (لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ) (المائدة - ٨٢)، وقد لاحظ الباحث أن هناك عدم ارتياح من بعض المسيحيين لاستخدامها، وضمن حدود علمه فهو لا يعتقد أن هناك أي إشكال شرعي في استخدام كلمة المسيحيين إن كانت هي ما يجبه القوم لأنفسهم، مع العلم أن كلمة نصارى استخدمت من قبل المسيحيين أنفسهم تاريخياً في كثير من المواضع.

^٥ - إن حوادث التصفيات الدموية في العراق طالت الجميع مسلمين (سنة وشيعة)، عرباً وأكراداً، مسيحيين ويزيديين، ولا يشك الباحث أن هناك قوى إقليمية وعالمية وراءها، ولكن الأكثر خطورة هو الاقتلاع والتصفية لبعض الطوائف الصغيرة، والتي هي أقدم سكان المنطقة، وعلى سبيل المثال فإن الطائفة السريانية هي إحدى الطوائف التي تتعرض لتصفية مخيفة في ظل صمت محلي ودولي مريب. وما من دين أنزله الله يرضى بذلك الإجرام كأثماً ماكانت دوافعه.

^٦ - مجلة التمدن الإسلامي، مرجع سابق، السنة ١٤، شعبان ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٨م، ٢٠٥.

كما يلفت النظر عندما أنشئت مدرسة التمدن الإسلامي عام ١٩٤٥، أنها استعانت بثلاثة مدرسين مسيحيين^١، [الوثيقة رقم ١] وهم: ريمون هبرا، أنطون جناوي، جوزيف السبع، ليس لقلّة المدرسين المسلمين، بل بحثاً عن أرقى المستويات التعليمية من أجل المصلحة العامة، كما أن مستوصف الجمعية الذي أسس عام ١٩٥٩، قد استعان بطبيب مسيحي هو جورج كساب^٢، وهذه سابقة ليس سببها الحاجة بل الانفتاح والتعاقد.

شكل فكر التمدن زاداً مميزاً للمهاجرين يربطهم ببلادهم ولغتهم، إن لم يكن بعقيدتهم ودينهم، حتى إن الأديب المهجري الكبير إلياس قنصل أرسل رسالة بتاريخ ٢٩ أيلول ١٩٧٥ م يطلب فيها إرسال نسخ من كتاب: (النبي محمد ﷺ)، كلمات بأفلام نخبة من الباحثين والأدباء المسيحيين المنصفين) والذي نشرته الجمعية عام ١٩٦٤ م، مردفاً: "وأغتنم السانحة لأسجل عميق إعجابي بما قمتم به وتقومون من جهود موفقة جبارة لرفع شأن العروبة، وأسأل الله أن يديمكم سنداً لها وتفضلوا بقبول فائق احترامي .. [الوثيقة رقم ٢]"، وقد قامت الجمعية بإرسال بعض الكتب هدية إليه، وهذا يدل على الأفق الواسع الذي يتجاوز الطائفية، ويعمل من خلال مصلحة عليا للجميع.

ويبلغ الوعي المشترك درجة أنه قد "عُرض أمر مساعٍ تبذل لاتحاد (إسلامي - نصراني) لمكافحة الرذائل التي ينكرها الدينان، فتقرر المساهمة في هذه الفكرة"^٣، ولتت مؤسّسات المجتمع المدني تجد فسحة كافية لتنتقل بمثل هذه الإطارات، في عمل إيجابي يعود خيره على الجميع.

من الأمور المميزة في وعي الإسلاميين عموماً ورجال التمدن خصوصاً، هو ذلك الإدراك للمصالح الوطنية التي تجمعهم، وسعيهم للتعاون مع كافة الأطراف الطائفية لتحقيقها، ومثال ذلك انتخابات عام ١٩٤٧، حيث برزت هناك قائمة سميت: قائمة الأمة [الوثيقة رقم ٣]، وقد أيدتها رابطة العلماء ورجال

^١ - انظر غلاف المرجع نفسه، السنة ١١، شوال ١٣٦٤هـ = ١٩٤٥.

^٢ - انظر سجلات مستوصف جمعية التمدن في سنواته الأولى. وجدير بالذكر أن الجمعية ضمت كبار أطباء سورية، ومنهم الدكتور محمد جميل الخاني: رئيس الجمعية وقيب الأطباء، والدكتور حمدي الخياط: نقيب الأطباء، وهما من مؤسسي كلية الطب، والدكتور شوكت الشطي والدكتور عبد الوهاب القنواقي شيخ الصيادلة وقيبيهم، وغيرهم، ومن أبرز أطباءها الحاليين الدكتور هيثم الخياط كبير مستشاري منظمة الصحة العالمية للشرق الأوسط وشمال أفريقيا.

^٣ - كتبت الوثيقة على الآلة الكاتبة ووقعها الأستاذ قنصل وكتب عنوانه بخطه، وتحت خط الأستاذ العظمة للكتب التي أرسلت إلى قنصل.

^٤ - سجل القرارات، مرجع سابق، الجلسة ٦١ (٢٤ شوال ١٣٦٧هـ / ٢٩ آب ١٩٤٨ م)، ١٦٦.

الوطنية والعلم والجهاد، وقد ضمت وطنيين كبار مثل زكي الخطيب وحسن الحكيم، ورجال التيارات الإسلامية مثل محمد المبارك وعبد الحميد الطباع وعارف الطرقي، وعلي الطنطاوي، وأبرز شخصيات التمدن: أحمد مظهر العظمة، ولكن المدهش أيضاً أنها ضمت: فارس الخوري، عن الطوائف المسيحية غير الممثلة، وقسطنطين منسي عن الروم الأرثوذكس، وفريد أرسلانيان عن الأرمن. إن للمجتمع السوري خصوصيته التاريخية والاجتماعية المميزة، التي تتجلى دائماً في صور فائقة الوعي والأداء.

ثانياً: العلاقة مع الشيعة:

ربما لم يحصل شرح في تاريخ الأمة كمثل الشرح الذي حصل بين السنة والشيعة، ولا زال الباحث يعتقد رغم كل التوحش الموجود بين الطرفين، أن العقلاء يمكن أن يزيلوا العدا، حتى إذا لم يزل الجفاء، وكان للجمعية سبق في التواصل، فقد قررت "الكتابة إلى السيد محسن الأمين وإلى الشيخ عبد الفتاح الإمام، بشأن المركز التبشيري في دمشق"^١. وذكرت المجلة ما يلي: "اقترحنا على سماحته كتابة كلمة في هذا الموضوع فتفضل بهذا المقال"، ونشر بعنوان: الاتحاد سعادة والتفرق خسران، لسماحة العلامة الأستاذ السيد محسن الأمين العاملي^٢، وفي الهامش: وفي نفس العدد مقال بعنوان: "عبرة الذكرى النبوية" للأستاذ أحمد صندوق [مدير المدرسة المحسنية].

ويقول أحمد مظهر العظمة، مخرجاً الشيعة مما ابتلي به أكثرهم نتيجة غلة بعضهم: "وعلى كل فإن هذا الطرف البعيد الذي نفخ فيه أصحاب الأغراض المسمومة ليس يعني أن التشيع كله كذلك، وإنما يعني الغلو الذي خرج بأهله عن حظيرة الحق والاعتدال. فالشيعة فرق عدة منهم المغالي المتطرف حتى بلوغ درجة الكفر

^١ - نال أحمد مظهر العظمة ٢٢٢٥٤ صوتاً، ولطفي الحفار ٢١٦٧٢ صوتاً، وصبري العسلي ٢٠٤٦٣ صوتاً، وحسن الحكيم ١٨١٦٦ صوتاً، وخالد بكداش ٩٨٨٦ صوتاً، بينما لم ينل ميشيل علق إلا ١٠٦٣٠ صوتاً. وقد تدخلت الولايات المتحدة في تلك الانتخابات بشكل فح مما شرح سابقاً وغيرت من نتائجها، وانظر لتفاصيل الانتخابات: - جريدة بردى اليومية، لصاحبها: جورج فارس ومدير الرئيس، السنة الثانية، العدد ٣٠١، ٢٤ شعبان ١٣٦٦هـ/ ١٣ تموز ١٩٤٧م، الصفحة الرئيسية.

^٢ - المرجع نفسه، الجلسة ٣٩، (٢ ذي الحجة ١٣٥٧هـ/ ١٠ الثاني ١٩٣٨م)، الفقرة ١، ٨٥.

^٣ - السيد محسن العاملي، من كبار علماء الطائفة الشيعية، وآخر المراجع العظام في بلاد الشام، وله مؤلفات كثيرة، وكان ذا أفق واسع وحاول الخروج بالطائفة من بعض العادات السلبية، وإليه تنسب المدرسة المحسنية.

وقد نشرت المقالة في مجلة التمدن جادى الآخرة ١٣٦٧هـ/ نيسان ١٩٤٨م، السنة ٦، ١٤.

^٤ - المرجع نفسه، مجلد السنة ١٤، 10.

فلا يعد من الفرق الإسلامية في شيء... ومنهم المقتصد الذي لم يغفل هذه المغالاة بل بقي على أركان الإيمان والإسلام. ولا يلتفت إلى نقل القدح (في الشيخين أبي بكر وعمر) من غلاتهم فهو مردود عندنا وعندهم^١.
يشير الباحث إلى مقال مهم كتبه يتعلق بالعلاقة مع الشيعة وإيران ومنعها من امتلاك الطاقة الذرية، فيرجى الاطلاع عليه [ملحق رقم ١].

ثالثاً: العلاقة مع العلويين:

إن بيان الحق أمانة ثقيلة، ويعتبر وضع الطائفة العلوية من المواضيع الشائكة، التي امتزج فيه التاريخي مع السياسي، وقد عانت الطائفة من تهمة واضحة^٢، وعدم فهم لها، وساهمت العزلة في غلو أفراد منها بل تسلسل خرافات خطيرة لا يرضى بها علماءهم^٣، ولا مثقفوهم، واستعملت الأطراف المقابلة موضوع التكفير والإخراج من الملة كسلاح خطير للعزل وزيادة التهميش، دون أن تحس بالآلام العلويين ومعاناتهم؛ و"الشعوبيون أبعدهم عن العالم، وحصروهم في الجبال، ومنعواهم من الاختلاط بغيرهم، وأغروا بعض المؤلفين آنئذ، فكتبوا عن العلويين (النصيرية) ما لا ينبغي أن يكتب، وهاجموهم في كتبهم هجوماً، ليس بمستحسن ولا يجوز أن نقرهم عليه..."^٤، وإن العلوي عموماً إنسان فيه من الصفات الإيجابية ما قد ينذر عند غيره، وهو شديد الحذر والارتياح، بسبب ماضٍ أليم، ولكنه إن وثق بك فتح لك قلبه وفداك بروحه^٥،

^١ - أحمد مظهر العظمة، حضارتنا، ص ١٢، رجب ١٣٦٥هـ، 223. والجملة الأخيرة منقولة عن مقدمة ابن خلدون، ١٦٤.

^٢ - لا يتحدث الكاتب بالطبع عن بعض العناصر الفاسدة، والتي لا تخلو طائفة منها، والتي ربما تستغل طائفها بانتهازية مخيفة، وتتاجر بالآلام الناس لركوب مصالحها الخاصة سياسية كانت أم اقتصادية أم دينية، بل يتحدث الباحث عن العلويين ككيان بشري، عاش ممهشاً دون أن تمتد إليه يد حانية، وقلب مفتوح، بحيث يساعد على فهمه وإدراك معاناته، وينصح الباحث بقراءة كتاب: منير الشريف، المسلمون العلويون، من هم؟ وأين هم؟ وقد طبعته المطبعة العمومية بدمشق طبعة ثانية عام ١٩٦٠.

^٣ - كان للباحث تجارب شخصية إيجابية ومثمرة مع بعض أفراد الطائفة العلوية، ويخص منهم بالذكر العالم الجليل الشيخ محمد الحكيم رحمه الله، والمفكر والشاعر داعية حقوق الإنسان الدكتور محمود صارم، والعميد محمد سليمان رحمه الله.

^٤ - اطلع الباحث ومن قبله أطراف موثوقة على حوادث تقشعر لها الأبدان، وظلم مخيف، تعرض له أبناء وبنات الطائفة العلوية قبل عشرات السنين، مما يجعل التاريخ من ذكر مرارته، ولكن في نفس الوقت فإنه ليس ذنب أي طائفة ظهور مفسدين ينتسبون إليها، ويجرون طوائفهم لدفع ثمن باهظ نتيجة ظلمهم وفسادهم، لأنهم كما أفسدوا في غيرهم فقد أفسدوا في طوائفهم التي ينتسبون إليها وظلموها، (يمكن الاطلاع على قصة حزينة بعنوان: شروال برهوم للأديبة نادية الغزى، وهي تشرح جزءاً من معاناة الناس)، وقد آن للأمم بكل مكوناتها أن تخرج من عقد التاريخ، وتبني المستقبل، وتناقش الإشكاليات الموجودة ببصيرة موضوعية، وقلوب مفتوحة.

^٥ - منير الشريف، المسلمون العلويين، مرجع سابق، ١٥٥.

^٦ - المرجع نفسه، راجع فصل: نفسية العلوي ١٤٥-١٥٠.

وبينما كان الواجب أن يكون الإسلام هو المعصم الجامع الذي يضم الأصابع كلها، فإن عدم النضوج لدى شرائح من المكون السوري! أدى إلى نزوفات دامية لم تفد أحداً، بل شكلت جرحاً غائراً يجب على العقلاء من كل الأطراف أن يساعدوا على البرء منه، وفوق ذلك فإن يد السياسة الدولية، حاولت أن تزيد الشقة بين الطوائف، وقد أخفقت أثناء الاحتلال، ونجحت بعد الاستقلال!

الشيء الذي لا يعرفه الأكثرون، ولم يُشر إليه من قبل هو أنه وجد فرع أو لجنة لجمعية التمدن الإسلامي في "قضاء صافيتا، في [قرية] بيت الشيخ يونس"، ومعلوم أن هذه القرية كلها من العلويين، وكانت هناك صلات قوية بين الطرفين، ويمكن معرفة أسبابها من خلال المقال التالي، لكاتب من صافيتا (بيت الشيخ يونس) ليقول: "نشطت في الجبل العلوي دعايات الأجنبي، ففتكت ببعض أهلها فتكاً ذريعاً وأصبحوا على ما هم عليه من حالة سيئة، فأمسوا لا يكادون يعرفون من أحكام دينهم شيئاً، نقول هذا مع العلم بأن دعاة الأجنبي المستعمر على الرغم مما بذلوا لم يسيطروا إلا على طبقة قليلة ضعيفة الإرادة كثيرة السذاجة.

ومعلوم أن العلويين من صميم الإسلام وقلب العروبة، وقد كان المستعمر يحاول أن يحقق أغراضه ومآربه فيهم، فترجو من أولي الأمر الآن أن يصلحوا ما أفسد، ويغرسوا مانجني منه ثمرات طيبة^١، حتى لا تخلو مدرسة إسلامية أولية أو ابتدائية في محافظة العلويين من تطبيق درس وقواعد الدين الإسلامي في الصفوف على اختلافها، وأن تفتح مدارس كثيرة كي تكافح الأمية، لأن ثقافة الأمة وتوجيهها إلى الأعمال الصالحة النبيلة لا تتوقف إلا على تربية النشء وتعليمه الأهداف الكاملة الشريفة، والمبادئ المستقيمة.... وهي رسالة نبينا العظيم وإسلامنا القويم، وشريعته السمحاء^٢."

وبناء على اقتراح جاء من مصياف، قرر مجلس الإدارة "السعي لزيادة عدد مقاعد [ال] طلاب العلويين والدروز في الكلية الشرعية"^٣. كما "بُحث في معونة طالب علوي لاستكمال دراسته، وهو السيد.... فكُلف الأستاذ الخطيب السعي لتأمين دراسته ومناحه وطعامه في بعض المدارس"^٤.

^١ - عبارة مقتبسة من كلام العلامة الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي في مناسبات عدة، وهو ينتقد الفكر الذي يمزق الأمة.

^٢ - سجل القرارات، مرجع سابق، الجلسة ٩ (١٠٢٢) صفر ١٣٦٤م / ٥ كانون الثاني ١٩٤٥م)، الفقرة السابعة، ١٣٦.

^٣ - في الأصل: طيبة.

^٤ - حامد محمود ياسين، الجبل العلوي يتوق إلى التعليم الإسلامي، التمدن، السنة ١١، (ذو الحجة ١٣٦٤ / تشرين الثاني ١٩٤٥)، ٣٠٠.

^٥ - سجل المقررات، مرجع سابق، الجلسة ٦٦ (١٦ رمضان ١٥/١٣٦٢ / ١٥ أيلول ١٩٣٤م)، ١٢٩..

^٦ - المرجع نفسه، الجلسة ٦ (٢٦ ربيع الثاني ١٣٧٨هـ / ٩ تشرين الثاني ١٩٥٨م)، الفقرة ٣، ٢٢٣.

بل إن التواصل وإعادة الالتحام بلغت حداً مدهشاً، فقرر مجلس الإدارة: "التوسط بشأن الطلاب العلويين في الكلية الشرعية، وما يُطلب منهم من تقديم الكفالة، وإخراجهم من المدرسة، وتكليف الأستاذ الخطيب بذلك"^١. ولما لم تجد الوسائط قرر المجلس: "مراجعة وزير العدل بشأن إخراج الطلاب العلويين من الكلية الشرعية، لعدم تقديم أوليائهم كفالة، رغم تسامح العمدة رسمياً بذلك عند انتسابهم، ومع الدروز تألفاً لهم وترغيباً لطلب العلم فيهم..."^٢.

لقد كان عند رجال التمدن خوف حقيقي في أن ينجح الاحتلال في شق الطائفة العلوية عن الجسم الإسلامي الذي ينتسبون إليه، فبدلوا كل جهودهم لدعم إخوانهم، وفتح ما أمكن من الأبواب لهم، وقرروا "مقاومة التبشير في العلويين بتعزيز العلم والدين الإسلامي في البلدان والقرى، برعاية ذوي الوجهة والمكانة هناك"^٣. ومن بعض جهودهم كتاب "إلى محافظ العلويين للأخذ على أيدي المبشرين"^٤.

أما التواصل الإسلامي البديع فنجدته في موقف المجاهد الكبير صالح العلي والذي رفض بإباء مكر البعثة البروتستانتية، فقررت إدارة التمدن التأزر معه و"إرسال كتاب شكر إلى الشيخ الشيخ صالح العلي في العيون، على موقفه من البعثة التبشيرية اليسوعية، التي أهدته إنجيلاً، فرده وقدم لها مصحفاً"^٥.

^١ - سجل المقررات، مرجع سابق، الجلسة ١٠١ (١٨ محرم ١٣٦٤هـ/١ كانون الثاني ١٩٤٥م)، فقرة ٣، ١٣٥.

^٢ - المرجع نفسه، الجلسة ١٠٢ (٢٥ محرم ١٣٦٤هـ/٨ كانون الثاني ١٩٤٥م) فقرة ١، ١٣٥.

^٣ - المرجع نفسه، الجلسة ٤ (١٣ شباط ١٣٥٨هـ/٣ نيسان ١٩٣٩م)، الفقرة ٤، ٨٩.

^٤ - المرجع نفسه، الجلسة ١٢ (٩ ربيع الآخر ١٣٥٧هـ/٨ حزيران ١٩٣٨م)، ٧٧.

^٥ - صالح العلي (١٨٨٣-١٩٥٠)، مجاهد كبير، وقائد وطني، ولد في قرية المرقيب التابعة لقضاء طرطوس، قاد الثورة ضد الفرنسيين في جبال العلويين لمدة ثلاث سنوات، وأرهب قوات الاحتلال الفرنسي وانتصر عليها في عشرات المعارك، قبل محاصرة قواته في قرية الشيخ بدر، وإجباره على الاستسلام، وقد دفن إلى جانب المسجد الذي بناه. وانظر للاستزادة:

- جميل شاكّر الخانجي، ثوار صنعوا الاستقلال، مرجع سابق، ٣٥٣-٣٦٠.

^٦ - سجل المقررات، مرجع سابق، الجلسة ١٢ (٩ ربيع الآخر ١٣٥٧هـ/٨ حزيران ١٩٣٨م)، ٧٧.

ولعل الكثيرين لا يعلمون أن الشيخ المجاهد صالح العلي [العلوي] قد توفي على بين ذراعي أخيه العالم السني الجليل الشيخ محمد المجذوب [رحمهما الله جميعاً].

رابعاً: العلاقة مع الإسماعيليين:

قالت مجلة التمدن: "زار دمشق للمرة الثانية السيد علي نجل سمو آغا خان ، فتفقد الاسماعيليين المرتبطين من الوجهة المذهبية بوالده ، وتبرع بإنشاء مدارس ، كما تبرع لبعض المؤسسات الخيرية ، والله سبحانه يجزي المحسنين خير الجزاء"^١ ، "فقد قال فيما قاله أن بعض جماعته ابتعدوا عن التعاليم الإسلامية وأنه سيعمل على حملهم على اتباع تلك التعاليم وآغا خان اشتهر بأنه من آل بيت النبوة ، فهو إذن أولى الناس بالعودة إلى ما جاء به محمد بن عبد الله ﷺ ، وهو أولى الناس بأن يجعل اللغة العربية ، التي هي لغة الإسلام الرسمية ، ولغة القرآن الكريم ، ولغة محمد ﷺ اللغة الرسمية لجماعته وآل بيته ، وهو أولى الناس بأن يدافع عما أعلن الإسلام تقديسه [وإن] آغا خان حريص على التضامن الإسلامي وعلى إعادة الخلافة الإسلامية ، وهذا ما يحملني على أن أتوجه إلى سموه وإلى سمو نجله بأن يعملوا لهذا التضامن وقد لمس المسلمون أن القطيعة لاتفيد الإسلام والمسلمين شيئاً أما الجهاد الأكبر فهو اتحاد مذهبي يعود المسلمون فيه إلى كتاب الله وإلى سنة نبيه ، ويتناسون الفرقة والتعصب الذميمة ، وينسون ما وقع في العصور الأولى من حروب ومشاحنات

^١ - سمعت هذه الرواية من العديد من الأشخاص من أهل الساحل ، ثم وجدت مقالة للدكتور خالد الأحمد ، يذكر فيها صراحة أنه سمع ذلك في المدينة المنورة من الشيخ المجذوب ، والمقالة منشورة على الموقع التالي:

<http://www.asharqalarabi.org.uk/mushrakat/b-mushacat-207.htm>.

ولم يتسن لي الاتصال بجفيده العالم الفاضل الشيخ فداء المجذوب ، ولعلي أستدرك ذلك قريباً.
^٢ - محمد المجذوب (١٩٠٧-١٩٩٩) ، عالم وداعية وأديب وشاعر ، ولد في طرطوس ، وشارك في مقاومة الفرنسيين واعتقل واضطهد ، وكان من وجوه الإسلاميين في الساحل السوري ، وعمل في التربية والتعليم في سورية والسعودية ، وله أكثر من خمسين مؤلفاً في الفكر والأدب والشعر . وانظر في ترجمته:

-إتمام الأعلام ، نزار أباطة-محمد رياض المالح ، دمشق ، دار الفكر ، ط2 ، 1424هـ/2003م ، 411 . ومقالة بعنوان: محمد المجذوب كما عرفته ، بقلم: محمد نغسان عرواني . <http://www.odabasham.net/show.php?sid=894>.

^٣ - مجلة التمدن ، مرجع سابق ، مجلد ١٤ - ص ٩٦ . آيار ١٩٤٨م . ومحضر الجلسات ، مرجع سابق ، السنة ١٣٦٤هـ ، الجلسة ٩ الفقرة الرابعة .

مذهبية لم يفد منها إلا أعداء الإسلام...^١ . وقد قررت إدارة التمدن: "زيارة سلطان البهرة، والبحث معه في الشؤون الإسلامية، وطلب مساعدته".^٢

لقد كان توحيد الفرق الإسلامية، وإبعاد الروح الطائفية، وكف اليد الدخيلة هاجساً عند رجال التمدن، ومن أعمالهم: "إرسال كتاب إلى الأمير محمد ملحم، صهر الأمير سليمان العلي، تعزيزاً للدعوة التي أرسلها [إلى] الأخير منها؛ آغا خان بوجوب تضامن الإسماعيليين مع إخوانهم المسلمين، ودعوته للعمل بذلك"^٣.

سادساً: العلاقة مع الدروز:

إن الحال في العلاقة مع الدروز مشابهة لما كانت مع غيرهم من الطوائف التي تنتسب في النهاية إلى الإسلام، وقد دعت الجمعية "لسماع محاضرة يلقيها الصحفي الأديب السيد رفيق وهبة موضوعها: بنو معروف في أدوار التاريخ، في مدرج الكلية العلمية الوطنية... يوم السبت ٦ ربيع الأنور ١٣٦٤هـ/ ١٧ شباط ١٩٤٥م".^٤ ويلاحظ أن هذه الأعمال كلها قد تمت قبل الجلاء، مما يبرز الحرص الشديد للجمعية على لم صفوف أبناء الأمة جميعاً.

وقد أسلفنا كيف أن الجمعية توسطت للطلاب العلويين والدروز لقبولهم في الكلية الشرعية، وأنها راجعت وزير العدل من أجلهم "تألفاً لهم وترغيباً لطلب العلم فيهم...".^٥

يلاحظ لم الشمل من خلال ما حصل إذ أنه "أثناء القصف الفرنسي لدمشق [آيار ١٩٤٥] هبت حوران وبنو معروف في جبل العرب لنجدة دمشق، ولكن قوات الحلفاء تدخلت، "وتم إخضاع القوة الفرنسية الباغية بقوة حليفة، وبودنا لو كانت قوة عربية، لكان ذلك.... أشفى للصدور".^٦

^١ - مجلة التمدن، مرجع سابق، السنة ١٤، ٩٧.

^٢ - سجل القرارات، مرجع سابق، الجلسة ٣، (٣ ربيع الأول ١٣٥٦هـ/ ١٢ آيار ١٩٣٧)، ٦٢.

^٣ - المرجع نفسه، الجلسة ٦١ (١٠ شعبان ١٣٦٢هـ/ ١١ آب ١٩٣٤م) الفقرة ٢، ١٢٨.

^٤ - بطاقة دعوة باسم الجمعية.

^٥ - سجل القرارات، مرجع سابق، الجلسة ١٠٢ (٢٥ محرم ١٣٦٤هـ/ ٨ كانون الثاني ١٩٤٥م) فقرة ١، ١٣٥.

^٦ - أخبار العالم الإسلامي، مجلة التمدن، ١١، (جادي الثاني ١٣٦٤)، ٦، ٧٥.

مما لا يعرفه الكثيرون أيضاً أن أحد أهم رجال جمعية التمدن هو بقية الأمراء التنوحيين الذين تعرضوا للمذابح في لبنان، ولم ينج منهم إلا طفل صغير، صار حفيده من أهم العلماء وهو عز الدين التنوحي^١ : (١٨٨٩-١٩٦٦م) : الملقب علم الدين، والده محمد أمين شيخ السروجية الدمشقي ، من كبار علماء اللغة والأدب ، درس في مدرسة الفريير بيافا ، ثم في الأزهر خمس سنوات ، وكان من أقرب أصدقائه الشيخ عز الدين القسام.

درس التنوخي الزراعة في فرنسة من عام ١٩١٠-١٩١٣م ، وخدم في الجيش العثماني ثم فر إلى الجوف فالبصرة فعمل في جريدة (الأوقات الرسمية) وبعدها التحق بجيش الشريف فيصل ثم استقر بمصر ، وعاد إلى سورية ، ففلسطين ببغداد ، ورجع دمشق نهاية عام ١٩٣١ ، فانتخب أمين سر مجمع اللغة العربية وهو من مؤسسيه الأوائل ، ونائب رئيسه لاحقاً ، وعضو مراسل للمجمع العراقي ، وعمل أيضاً مديراً لمعارف السويداء فمفتشاً للمعارف بدمشق ، ودرس في دار المعلمين ببغداد والشام ، وفي جامعة دمشق ، وهو أحد أهم رواد التعريب في مجال الفيزياء ، وقد حقق مجموعة من نفايس التراث ، وله كتب في الأدب ، وترجم عن الفرنسية عدة كتب في الفيزياء والأدب.

سابعاً: النظرة إلى اليهود:

رغم أن هناك عداء تاريخياً بين المسلمين واليهود، ابتداءً منذ بداية الدعوة الإسلامية، إلا أن الإسلام يطلب الإنصاف بل البر من أتباعه، فيقول تعالى: (لَا يَنْهَاكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ)^٢، وهذه الروح دعت جمعية التمدن إلى أن تكتب إلى علوبة باشا في القاهرة باقتراحات تراها الجمعية صالحة للقضية الفلسطينية، ومما جاء فيها: "نشر تصريحات أكابر اليهود في الأقطار العربية بأنهم يتبرؤون من الصهيونية ولا يناصرونها"^٣.

وهذا البيان يوضح تمييز الجمعية بين الصهيونية كحركة سرطانية عنصرية، واليهود كأتباع دين خصه الإسلام بالاحترام.

^١ - خير الدين الزركلي، الأعلام ، بيروت ، دار العلم للملايين ، ط٤ ، ١٩٧٩ ، ٤٢٩ ، ٤.

^٢ - سورة الممتحنة، آية ٨.

^٣ - سجل القرارات، مرجع سابق، الجلسة ٢٢، (٥ رجب ١٣٥٧هـ/٢٦ حزيران ١٩٣٨)، الفقرة الرابعة، ٨١.

وبينما لم يتجاوز الفكر الإسلامي موضوع الدندنة على التحرير العسكري، فقد كان فكر التمدن أكثر عمقاً، حيث جاء في يلفت النظر العدد الصادر في أول العام الرابع عشر بتاريخ شعبان 1367هـ الموافق حزيران 1948م كتاب مفتوح إلى اللجنة العربية العليا في فلسطين حول مشروع يمكن أن يساعد في إنقاذ فلسطين، : "وملخص هذا الرأي أن تستثمر فلسطين استثماراً جماعياً... كما تستثمر الشركات المساهمة... إن استثمار الفلاح العربي لأرضه منفرداً لا يتفق وروح الزمن الحاضر، وخاصة في فلسطين التي أصبحت فيها الصهيونية تدير مستعمراتها بطريقة مشتركة، إن الاستثمار المشترك يساعد على التقدم السريع والاستفادة من المخترعات الحديثة.

.. يقولون إن اليهود أغنياء وعلماء! وأنا أقول كلا! وإنما أصبحوا أغنياء باتحادهم! وأصبحوا علماء بمعرفتهم كيف يستفيدون من العلماء! فهل هناك مانع يمنع من أن نحذو حذوهم في استثمارهم المشترك! أيها العرب! أيها المسلمون في أطراف الأرض إذا كنتم تحبون فلسطين فجودوا عليها بالمال. فليس كالمال المنظم من منقذ لها مبدئياً".¹

كم جاء في مقال آخر يتكلم بواقعية شديدة عما ينبغي القيام به في فلسطين: "وإنني أحب أن ابتعد قليلاً عن آفاق الشعور العربي القائل: لنا الصدر دون العالمين أو القبر، فأريكم ميداناً من ميادين العمل فأحدثكم بالشعور المادي، والتنظيم الاقتصادي ... إنكم لو نظرتم إلى فلسطين باعتبارها تربة ومزرعة، وأنشأتكم الشركات التي تحب المال، تحب الربح، إذاً لا ستملكتم أراضي فلسطين بشركات تعاونية أو مساهمة، تبدرون أسهمها في جميع الأقطار العربية إن لم تحتاجوا ما وراءها من ديار النصر ... لقد كانت عواطفنا غالبية ومساعدنا هزيلة ... وإن ما صارت إليه قضيتنا في فلسطين هو ثمن هذا الموقف الهزيل، فاعرفوا قيمة الأعمال بنتائجها، ولا تؤخذوا بأوهام مخادعة ...".²

¹ - محمود مهدي الاستانبولي، مجلة التمدن الإسلامي، مرجع سابق، السنة ١٢، جادى الأولى ١٣٦٥هـ، ١٢٧.

² - محمد بن كمال الخطيب، المرجع نفسه، كيف ننقذ فلسطين، السنة ١٢، شعبان ١٣٦٥هـ، ٢٧٥-٢٧٧.

خلاصة البحث:

أظهر البحث مايلي:

- للسياسة الدولية يد ملحوظة في إثارة واستثمار المشاعر الطائفية، بما يخدم مصالحها، من خلال التفرقة، وإثارة العداوات بين مختلف الطوائف.
- تواصل الطوائف مع بعضها وإدراكها لأحوال كل منها أحد مفاتيح التعامل الإيجابي فيما بينها.
- التراحم الطائفي أمر أعمق من التسامح الطائفي، وهو قائم على وقائع تاريخية ثابتة، ويجب إعادة إحيائه من جديد.
- النقاط غير المضيئة في العلاقات بين الطوائف ليست قدرًا يتحتم البقاء في أسره.
- يقدم الإسلام بمعناه الواسع ساحة رحبة للالتقاء والتواصل.
- قدمت جمعية التمدن الإسلامي بدمشق زيادة فكرية وعملية في التعامل الطائفي، جدير بأن تعمم ويستفاد منها.
- لا يمكن للسياسة الدولية أن تحدث شروخاً طائفية أو تثير النزعات في ظل وعي وتراحم أصيل.

واختصر كل بحثي فيما قاله أحد كبار رجال جمعية التمدن الإسلامي ، وأحد أدمغة الاقتصاد السوري في الخمسينات، ومدير مصرف سورية المركزي، الدكتور عزت الطرابلسي رحمه الله:

"من (أنانية) الإنسان الفرد أنه يجب احتكار الخلق الطيب والصفة الحسنة ، فيسوؤه أن يراهما في غيره .
أليس من أنانية (الإنسان المجموع) إذاً (كالأمم المستعمرة) أنها تحب أن تنفرد بالصفات الحسنة : بالحرية والاستقلال !

يقولون "أن ليس للوطنية دين فقلت لهم: ألا يكفي أن تكون ديناً [مرابطة] للجميع؟".

¹ - عزت الطرابلسي، مجلة التمدن الإسلامي، مرجع سابق، السنة الأولى، العدد الرابع، ١٩٣٥م.

المراجع

1. ابن بطوطة، الطنجي، محمد بن عبد الله (٧٧٩هـ/١٣٧٧م)، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، القاهرة، المطبعة الأزهرية، ١٣٤٦هـ/١٩٢٨.
2. الأسطواني، محمد سعيد، مشاهد وأحداث دمشقية في منتصف القرن التاسع عشر، تحقيق: أسعد الأسطواني، دمشق، دار الجمهورية، ١٩٩٤.
3. بدران، عبد القادر، منادمة الأطلال ومسامرة الخيال، بيروت، دار ابن عابدين، ط٢، ١٩٨٦/١٤٠٦.
4. بريك الدمشقي، ميخائيل، تاريخ الشام (١٧٢٠-١٧٨٢)، تحقيق وتقديم أحمد غسان سبانو، سلسلة دراسات ووثائق تاريخ دمشق الشام (٣)، دمشق، دار قتيبة، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.
5. آل جندي، تاريخ الثورات السورية في عهد الانتداب الفرنسي، دمشق، مطبعة الاتحاد، ١٩٦٠.
6. الحكيم، حسن، صفحة من حياة الشهبندر، دم، مطابع الجمعية العلمية الملكية، ١٩٨٠.
7. المصري، ساطع (أبو خلدون)، يوم ميسلون (صفحة من تاريخ العرب الحديث)، بيروت، مكتبة الكشف، ط٢، ١٩٤٨.
8. الخانجي، جميل شاكر (١٨٩٨-١٩٧٦)، ثوار صنعوا الاستقلال (صفحات مضيئة من تاريخ الثورة السورية)، إعداد وتحرير: نشأت جميل الخانجي، دمشق، دار الشرق، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.
9. الخوري، فارس، أوراق فارس الخوري، بعناية كولين خوري، دمشق، دار طلاس، ط٢، ٢٠٠١، المجلد الأول/٢.
10. زرزوز، محمد عدنان، مصطفى السباعي (الداعية المجاهد والفقير المجدد)، دمشق، دار القلم، ط٢، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
11. الشريف، منير، المسلمون العلويون، من هم؟ وأين هم؟ وقد طبعت المطبعة العمومية بدمشق طبعة ثانية عام ١٩٦٠.
12. الصواف، محمد شريف، موسوعة الأسر الدمشقية، دمشق، بيت الحكمة، ط٢، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م، المجلد الأول/٣.
13. العظمة، عبد العزيز، مرآة الشام (تاريخ الشام وأهلها)، تحقيق: نجدة فتحي صفوة، دمشق، دار الفكر، ط١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.
14. عياش، عبد القادر، معجم المؤلفين السوريين في القرن العشرين، دمشق، دار الفكر، ١٩٨٥هـ/١٤٠٥.
15. نعيسة، يوسف جميل، مجتمع مدينة دمشق، (١١٨٦-١٢٥٦هـ/١١٧٢-١٨٤٠م)، دمشق، دار طلاس، ط٢، ١٩٩٤.

١٦. كيالي، نزار، دراسة في تاريخ سورية السياسي المعاصر (١٩٢٠-١٩٥٠)، دمشق، دار طلاس، ١٩٩٧. - وجيه الكوثراني، بلاد الشام في مطلع القرن العشرين (قراءة في الوثائق)، معهد الإنماء العربي، طرابلس الغرب، ١٩٨٠.
١٧. المالح، محمد رياض، عالم الأمة وزاهد العصر: العلامة المحدث الأكبر بدر الدين الحسني، دمشق، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.
١٨. المالح، محمد رياض- نزار أباطة، إتمام الأعلام، دمشق، دار الفكر، ط ٢، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
١٩. اليافي، عبد الكريم، الدين والإحياء الروحي في الوطن العربي اليوم، دمشق، منشورات وزارة الثقافة، ٢٠٠٤.

20. *ashreb-achrek, N 198-Hiver,Paris, 2008-2009.*

21. <http://www.asharqalarabi.org.uk/mushrakat/b-mushacat-207.htm>.

22. http://www.bbc.co.uk/arabic/middleeast/2010/04/100411_sudan_elex_carter_tc2.shtml

23. http://www.islamonline.net/servlet/Satellite?c=ArticleA_C&cid=1173695208143&pagename=Zone-Arabic-Daawa%2FDWALayout

24. <http://www.aawsat.com/details.asp?issueno=9706&article=307826>

25. <http://darbuna.net>

26. <http://www.odabasham.net/show.php?sid=894>.

ملحق رقم (١) مقتطفات من مقال بعنوان : الذين يتوبون ويذكرون

حول العلاقة مع الشيعة وملف إيران النووي (كتبه: أحمد معاذ الخطيب الحسني ، بتاريخ ٢ تشرين الثاني ٢٠٠٧م)

يمكن الاطلاع على المقال الأصلي في الموقع التالي: <http://www.darbuna.net/word/?ID=780>

ليس الاعتراف بالخطأ سهلاً كما قد يتصور البعض، بل هو عملية جذرية في التفكير والتصورات والمبادئ والأصول الشرعية وتقدير المصالح، والموازنة بين الهدف القريب والبعيد.

لنأخذ مثلاً عن ذلك ملف إيران النووي، والحشد الغربي الدولي ضدها. لقد عانى المسلمون تاريخياً من شرخ حاد بسبب الخلاف المذهبي بين السنة والشيعة، ولكنني أزعم أن الاحتقان الموجود الآن لم يسبق قط ، وكان الصراع يعمل على المحور السياسي ثم العلمي والفقهية، وقد تتفاقم الأمور فتتسرب إلى العامة فتحصل اشتباكات واعتداءات لا تلبث أن تنطفئ ويعود الناس إلى حياة طبيعية فطرية، ويتجاوزون ويتزوجون من بعضهم ويتبايعون رغم كل الخلافات، لأن الحامل الشرعي الفطري ثم الاجتماعي الذي يضمهم يبقى مهما حصل أكثر زخماً من التفعيل السياسي أو السجال العلمي أو التناوش والصدام العملي، الذي قد يحصل في أماكن تبقى محدودة ولا تنتقل لتصبح فتنة عارمة.

لماذا لم ينتبه أحد إلى أن إذكاء الفتنة الطائفية يتجه إلى مستويات مخيفة بسبب الحقن من كل الأطراف، ولماذا لم تنتبه إلى أن الأسباب التي نختلف عليها كانت موجودة ولكن ساحتها لم تكن أبداً بالاتساع والحجم الذي تحتله اليوم! بل إن مافي بطون الكتب من الصراعات المذهبية شيء مذهل حقيقة، ولكنه بقي في الكتب وقد يطل برأسه في صراعات محدودة ولكنها لا تغير لون كافة المجتمعات.

الموجود اليوم هو تجييش سياسي ماهر، وليس فقط عداءً عقدياً أو مذهبياً فالعقيدة والمذهب والطائفة موجودة كلها سابقاً ولم تؤد إلى مانحن فيه.

ابحث عن النخر الداخلي الذي جعل الدول الكبرى قادرة على ضخ الفتنة في مجتمعاتنا، و**ابحث عن السبب في أن التهيئة لعمل عسكري ضد إيران صار الحديث عنه عادياً، وقد يحصل، ولكن الأخطر هو موقف الدول الإسلامية**

المتخاذل، وأكثر منه خطراً الموقف النفسي للحركات الإسلامية! والتي قد تعطي انطباعاً للساحة الشعبية بعدم أهمية الأمر وأنه لا يخصنا!

إن الحسرة السنية بسبب الغزو الشيعي المدعوم من الدولة الإيرانية ليس سبباً كافياً للصمت حيال احتمال الاعتداء على إيران، ولنفترض أننا نختلف عن الشيعة في العقيدة خمسين بالمائة وفي الفقه عشرين بالمائة (مجرد افتراض) فإن اختلافنا مع الغرب الحاقدي في العقيدة تسعين بالمائة ...

إن امتلاك إيران للقوة النووية لا يؤدي أي سني لكنه رادع مرعب للقوى المتكالبية على العالم الإسلامي، والعدوان على إيران زيادة في الهيمنة على المنطقة والتكالب على ثرواتها وتعميق لغزو ثقافي واجتماعي يزداد تجذراً في العالم الإسلامي.

بصراحة من المنطقي والشرعي أن نرفض أي مس بإيران ونعتبر ذلك عدواناً على الأمة المسلمة كلها.

هذا الرفض إنما هو للعدوان، ولكن هناك مسألة أخطر قد لا نتبها لها، وهي أن السلاح النووي كله إنما هو لعنة على البشرية، وأعتقد من الناحية الشرعية أنه لا يدخل فيما أمرنا بإعداده من القوة، فإن التوحش وإفناء البشر ليس من مقاصد الشريعة بل من مصادماتها. وما امتلكته الدول الإسلامية حتى الآن من سلاح وعتاد وجيوش لم يُجد نقيراً ولا قطميراً في وجه الغزاة، ويظهر أن أغلب الأنظمة العربية والإسلامية لم تكن صادقة يوماً في صدها للغزاة والمحتلين، وإنما كانت خنجرًا في ظهر شعوبها ومتاجرة بالشعارات وهي تنظر بدم بارد إلى الشعوب تذبح بين أيدي المحتلين، ومن يقاوم الاحتلال دائماً هم أبناء الأمة الضعفاء والمهمشين والمصادرين، وخصوصاً الإسلاميين الذين لا يستطيعون بيع مبادئهم وتبقى بلادهم وأهلهم عزيزين عليهم فيفدونهم بأرواحهم وهم الذين لم يلقوا منهم إلا الأذى والمشاق والسجون والتنكيل.

ومسألة أخرى: إن من الخطأ الجسيم للأمة المسلمة أن تحاول مجارة عدوها فيما هو من خصائصه من الهمجية والتوحش، بل عليها تعميق خصائصها الإنسانية وتفعيل دورها الحضاري كرائد في عالم القوى اليوم.

يجب أن ندرك أن مازلنا نملكه من خصائص لا يزال يشكل فتنة وسحراً لعالم اليوم وللمجتمعات البشرية التي يزيد تحبط أنظمتها، وأن ما نحن فيه من عطالة، وما يسيطر على بلاد المسلمين من غرق في التاريخ وخضوع للأنظمة المتخلفة السياسية والدينية ومفرزاتها الاجتماعية هو أكبر الصادات وعوامل الشلل التي تمنع الأمة من الانطلاق.

يجب أن نعطي اللحظة الحاضرة حقها فنرفض العدوان على أي بلد مسلم، بل أي بلد مظلوم، ويجب أن نعطي المستقبل حقه فلا نجري في المنظومات التي تستهلكنا ولا نظن أن امتلاك السلاح النووي هو مفتاح القوة ... هذه الدولة الباغية (إسرائيل) يقال أنها تمتلك أكثر من مائة قنبلة ذرية! ولكنها لا تستطيع أن تستخدمها عندما يكون السلاح هو الحجر! والجنود هم الناس ... هي فقط تستطيع ردع الأنظمة!

يكفي أن ينظر البشر إلى ما استهلكته الحروب المعاصرة من الأموال وأفته من البشر وحملته من الرعب والدمار والفتن ليعلم أن تكديس السلاح من أعظم الذنوب، وكلما غرقت الأمة في الجهل أنفقت على السلاح، ونست التعليم والصحة والمعرفة والبحث والتطوير، والاستقرار النفسي والاجتماعي، ولا ينبئك مثل بلاد العرب المتخلفة عن أمثال ذلك المصير.